فرناندو بّيسوا

يوميات

ترجمة المهدي أخريف

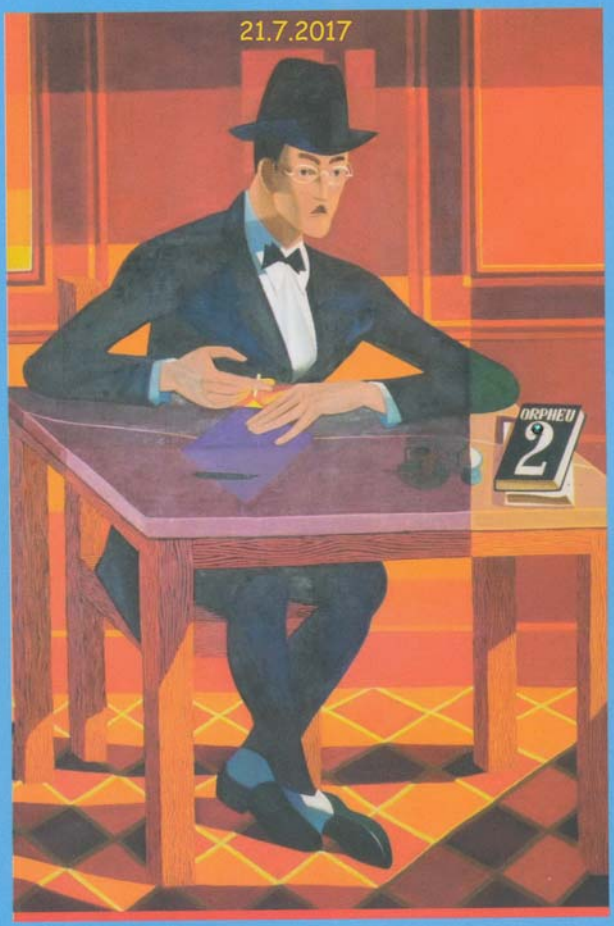

دار توبقال للنشر

فرناندو بّيسوا

يوميات

ترجمة المهدي أخريف

دار توبقال للنشر

يوميات

تم نشر هذا الكتاب ضمن سلسلة
ذاكرة الحاضر

الطبعة الأولى، 2017
©جميع الحقوق محفوظة

صورة الغلاف عمل الفنان
جوزي ألمادا نغريروس

دار توبقال للنشر
عمارة معهد التسيير التطبيقي، ساحة محطة القطار
بلفيدر، الدار البيضاء 20300 – المغرب
الهاتف / الفاكس : 23 23 34 522 (212)
البريد الإلكتروني : contact@toubkal.ma
الموقع : www.toubkal.ma

الإيداع القانوني : 2016MO4827
ردمك : 978-9954-694-00-8
ردمد : 2028-3369

تقديم

يوميات فرناندو بّيسوا هذه نشرت للمرة الأولى بالبرتغالية عام 2007 في دار أسيريو ألبيم. وهي تؤرخ لمراحل معينة من حياة الشاعر بعد عودته من «دوربان» بجنوب إفريقيا، بدءاً من السنوات التالية : 1906 ـ 1908 ثم 1913 و1914 و1915؛ بعدئذ نلاحظ حصول انقطاعات في وتيرة التأريخ في السنوات اللاحقة، ربما بسبب انقطاع المؤلف أكثر فأكثر لأعماله الشعرية والنثرية اللاحقة الموقعة باسمه هو وباسم أنداده بدون إغفال ما عرفته السنوات الأخيرة من حياته من تفاقم في أزماته الروحية والصحية.

ما يلفت الانتباه في هذه اليوميات في المقام الأول هو حفول التدوينات اليومياتية للسنوات المبكرة الأولى (1906 ـ 1908) بالتفاصيل الدقيقة لحياته الدراسية، علاقاته، انشغالاته الأدبية والفكرية، بينما نجد التدوينات المؤرخة ما بين 1913 ـ 1915 تنحو منحى التحليل والتعليق على الأحداث الصغيرة والكبيرة الشخصية والعامّة، ومن خلالها نتعرف على انخراطه المتزايد في الحياة الثقافية في بلده وعلى تطور وغزارة إبداعه الأدبي نثراً وشعراً وكذلك على اضطلاعه بدور رائد في حركة الحداثة الأدبية البرتغالية، فضلاً عن حياته العملية وتوسع علاقاتاه مع أبرز الأدباء ورموز الحركة الطليعية، بالإضافة إلى مساهمته في السجالات السياسية والثقافية ضد التيارات المحافظة والرجعية...

لقد كُتبت أجزاء عديدة من هذه اليوميات بالإنجليزية في الأصل (وهي لغة الدراسة والتكوين في جنوب إفريقيا).

ولعل ما يمنح هذه اليوميات أهمية خاصة ترفعها إلى مستوى بعض كتاباته الرئيسية هو ما يتخللها من نوْعيات كتابية مختلفة ومتنوعة، أدناها بعض الخطاطات والملاحظات البيوغرافية والبيبلوغرافية، وأعلاها تجسدها تلك النصوص والمقاطع التأملية البيسوية الخالصة بما تُفصح عنه من نضج مُدْهش ومبكِّر في مقاربة قضايا يومية وذهنية من منظوره الميتافيزيقي الفريد الذي سيظل يُغني رؤيتنا للوجود الإنساني كما عرفنا، في أعماله الأدبية الأخرى.

تبقى الإشارة إلى أن بعض هذه النصوص والانطباعات العجيبة مؤرخة في سن مبكرة قبل بلوغه سن العشرين، نصوص تظهر بوضوح ميله إلى التعدد والتكاثر باستعمال أسماء أنداد غير معروفين لدينا مثل شارل ـ روبير آنون، فراي موريسيو، أو معروفين في أعمال لاحقة له مثل ألكسندر سيرش بوجه خاص.

المهدي أخريف

اليوْميّات

وحينئذ، ما الإنسان في ذاته ؟ أليس سوى حشرة تافهة تطنُّ مصطدمة بزجاج نافذة ؟ ذلك لأنه أعمى، غير قادر على النظر ولا على التحقُّق ممَّا يُوجَد بينه وبَيْنَ الضوء. لذلك يتحمَّس مجتهداً في محاولة الدنوّ. في وسعه الابتعاد عبر الضوء، لكنه عَاجِزٌ عن الدُّنوّ أكثر فأكثر فكيف للعلم أن يساعده ؟ في إمكانه معرفة متانة الزجاج أو هشاشته معاً، والتأكد من مَدَى سُمْك جزء منه ورهافة جزء آخر : واحِدٌ أثْخنُ وآخر أرهف. بهذا كلِّه مَا مَدى دُنُوِّك مِنَ الضوء أيها الفيلسوف اللطيف ؟ ومَا مِقدار ازدياد إمكانات الرؤية لديك ؟ هل بوسعي الإيمان بأنَّ رجل الموهبة، أعني الشاعر، يَبْلغ على نحو معين حَدَّ تهشيم الزُّجاج باتجاه الضوء، ليشعر بالفرح والفتور الناجمين عن الانوجاد أبْعد فأبْعَد عن الآخرين جميعاً. لكن أليس هو نفسه أيضاً أعمى ؟ هل تمكَّن أحدٌ، مصادفة من الدنوِّ من الحقيقة الأبدية ؟

دعوني أمضي باستعارتي نحو الأبعد. بعضهم يبتعدون عن الباب الزجاجي في الاتجاه المعاكس، إلى الخلف، ويصيحون عندما يتأكدون من أنهم لم يصطدموا بالزجاج، لأنه ليس خلفهم. «لقد مررنا» (يقولون).

أنا شاعر مُحفَّز بالفلسفة، ولست فيلسوفاً ذا مزايا شعرية؛ مفتتن أنا بملاحظة جمال الأشياء وبرسم اللامرئي والمتناهي الصغر مِمَّا يميِّز الروح الشعريّة للكون.

شعرية الأرض لا تموت أبداً. في وسعنا القول أن عصوراً سالفة معيّنة كانت شعريّةً. لكن بوسعنا القول [-]*.

* كل ما ورد في الكتاب مرموزاً إليه بهذه العلامة فهو دال على حذوف أصلية.

الشعر موجود في كل شيء، في البرّ وفي البحر، في البحيرة وعلى ضفّة النهر، وموجود أيضاً في المدينة، لا تُنْكر ذلك، يبدو جليّاً أمام عينيَّ وأنا جالس؛ ثمة شعر في ضوضاء السيارات على قارعة الطريق، في أيّما حركة مبتذلة ومضحكة لِصَبّاغ في الناحية الأخرى من الشارع وهو يلوِّن إعْلَاناً لدُكَّان لحَّام.

الحاسَّة الأشد عمقاً لديّ تهيمن على حَواسِّي الخمس على نَحو يَجعلني أرَى أشياء الحياة، أنا واثق، بصورة مختلفة عن باقي البشر. لقد وُجَد أو يوجد، بالنسبة إليَّ ثراء في مَدْلول شيء مُضْحك وتافه، في مفتاحٍ، بابٍ، مسمارٍ في جدار، في شَارِبي هِرٍّ. بالنسبة إليَّ ثمة إيماءٌ رُوحي تامٌّ في دَجَاجة تَعْبر الطريق مقوقِئةً. يوجد بالنسبة إليَّ مدلول أَعْمَقُ مِنْ خوف الأشخاص في رائحة الصَّندل، في عُلبة أعوادِ ثِقاب منسيّة، في وَرَقتين وَسِختين في يَوْم عَاصف تطوفان الهواءَ، ثُمَّ تَتبعان شارعاً سُفْلياً.

وذلك لأن الشِّعر دَهْشَةٌ وحيرة، مثل كائن سَقَط من السماء ثم تأكَّد أثناء سقوطه، ذاهلاً، من سقطته. مثل مَنْ عرَف أشياء الرُّوح وفي مجاهدته لتذكُّر تلك المعرفة تحقَّق من أنَّ تلك الأشياء لم تَكُنْ كما عَرفها ولا وفق تِلْك الصورة وتلك الشروط، ثم وجَد نفسه عاجزاً عن تذكُّر المزيد.

على الفنان أن يكون رائعاً ونبيلاً، لأنَّ مَنْ يُعجَب بالجَمال لا يجب أن يَفْتقر إليه. ولا شك في أنَّ ما يسبِّب أَلَمَاً رهيباً للفنَّان هو أَلَّا يجد في نَفسه شيئاً مِمَّا يبحث عَنْه بعَنَاء. مَن يستطيع وهو يتأمل صُوَر شيلي، وكيتس، بَيْرون، وميلتون وإدغاربو أن يشكِّك في كونهم شعراء ؟ جميعهم كانوا رائعين، جميعهم كانوا محَبُوبين ومَحَلَّ إعجاب كما كَانُوا يمتلكون حرارة العيش والفرح الإلاهي، تماماً كما يليق بأيّ شاعر وأيِّ إنسان.

يوميات

ابتداء من 15 مارس 1906

15 مارس

سَنة دراسية عليا. درْس جغرافيا بالإنجليزية. المكتبة الوطنية؛ قرأت كتاب المنطق لأرسطو طاليس بترجمة سان إيلاريو. عُدتُ إلى المنزل في الثالثة والنصف بعد الزوال. كنت أفكر في المحاضرة حول حقوق المرأة، وفي حُجَّة قَدْحية لصالح الدعارة الذكورية. بدأتُ بكتابة «الباب» قرأت كتاباً حول الفِراسة. تَعشَّيْتُ حوالي 16h30، أمضيت المساء كله في التسكُّع حتى 21h30.

16 مارس

يوم عطلة. الملك عَادَ مِنْ مدريد. قَرأْتُ قليلاً عن الفراسة. المكتبة كانت مغلقة، لذلك لم أتمكّن من متابعة قراءة الأورغانون لأرسطو. يَوْم حَارٌّ؛ قرأت تنيسون. قمت بجولة صحبة كوشادو تورِّيس.

عُدْت في 9h30. لعبت الكينو حتى ساعة الشاي. ثمة صعوبات في الفحص الذهني لجاكوب ديرمو. فكّرت في قصيدة عن «شارع» التي يجب إدراجها في «تمرُّد».

17 مارس

لم أذهب إلى الجامعة. كُنْتُ في المكتبة أقرأ الأورغانون لأرسطو. بقيت في شارع بيدروسوس حتى الرابعة مساء.

18 مارس

الأحد في الـ«بيدروسوس». خرجت في فسحة مشي طويلة مع الخالة ماريا* لم أقم بشيء آخر وتفرَّغت أيضاً للنوم.

19 مارس

في الـ«بيدروسوس» الإثنين، يوم عطلة. عيد ميلاد الخالة أنيكا. عشاء ليلي في «بيدروسوس» عُدْتُ إلى المنزل في الليل.

20 مارس

في لشبونة. في المنزل. لا دُروس يوم : اليوم عطلة لوقوعه بين عطلتين. في المكتبة الوطنية مَكَثْتُ أتأمل المقولات الخاصة بمشروعي عن الميتافيزيقا. فرحة غامرة : فأنا قريب جدّاً من التوصل إلى حَلٍّ. حَصَلت أزمة وزارية. لذلك فجانب كبير من «تمرُّد» لم يَعُد له معنى. لا يهم. سأكتبه بسبب النزعة الجمهورية. وضعت تصنيفاً للمقولات وِفْق ثلاثة فروع : بهذا أجد حَلًّا لجانب مهم مِن المشكلة. مازال عليَّ أن أُقرِّر بشأن التقسيمات المتعلِّقة بالمقولات. الدكتور فيرّاس قَدَّمَني، مصادفةً، للأب فريتاس الذي كان فيما مضى مُجادلاً كبيراً.

أَمْعَنت النظر فيه. أنف صغير وَاسع مِن الطرف. شفتان رقيقتان؛ لُحَيَّةٌ مُربَّعة. ذِهن وَسِخٌ دَاعر. ذلك ما أظهره خلال الدقائق الخمس مِن الكلام. في «فيريرا أوليبيرا». في الليل، لَمْ أجدْ أحداً أكلِّمه أو أتمشى معه.

* الخالة مارية : تأثير عائلة بَيسوا من جهة أمه كانت قوية، لأنه عاش فترات طويلة مع خالاته كما أنه تربى بصفة حصرية تقريبا على يد أمه، بعدما توفي أبوه في وقت مبكر. وثمة ما يدل على أن الميول الأدبية لأ مه وخالته ماريا ساهمت في ظهور الموهبة الأدبية لديه.

21 مارس

آخر يوم عطلة في السنة الدراسية. مكثت اليوم بكامله في المنزل. شَرَعْتُ في قراءة «دائرة الحياة». كتبتُ قصَّة «الملك غوندومار». عجزت عن متابعة «الباب». فكَّرت في كتاب «عن الدولة». تابعت كتابة قصيدة لـ«تمرد». بدأت بكتابة «ملاحظة حول الأنوف». وَضَعْتُ خطوطاً أولى لقصيدة عن «شكسبير».

22 مارس

أول يوم دراسي بعد العطلة. جغرافيا وإنجليزية. يوم روتيني وبليد. مكثت في المنزل (لا، خرجتُ للتمشي ثم عُدْت في التاسعة ليلاً). بعدئذ كَتبتُ بحثاً حول ألسيستيس، فيليبو، وسليمني. درس في الفرنسية. ظللتُ مستيقظاً حتى الثانية والنصف لأجل هذه الحماقة. دائماً أترك كل شيء حتَّى اللحظة الأخيرة.

23 مارس

حضرتُ درس الفرنسية. لم أنتظر دَرْس فقه اللغة الموالي. لكن في النهاية لَمْ يَكُنْ هناك درس. أمضيت الوَقْت كُلَّه في التجوال عبر المدينة رفقة رِبيلو. وكذلك معه في الليل؛ التقينا بحشد أغبياء مِن ذوي العقول القَذِرة المتوافقة. الصِّحّة والشباب، أي شك في ذلك !

24 مارس

درس في التاريخ. رتيبٌ، وإن كان راموس (الأستاذ) مُسلّياً جدّاً. جَلَسْتُ بين عَضْوين مِن أعضاء الأرستقراطية؛ تشخيص : (دون المستوى). ذهبتُ مَشْياً إلى المكتبة مع مزيد من أُناسٍ (من الطبقة السفلى - كما يقولون هم هذه المرة-) أشخاص مبتذلون لكن ليسوا أرستقراطيين.

في المكتبة، قَرَأْتُ ويبر، تَاريخَ «الفلسفة الأوربية». «المدرسة الأيونية»، «طاليس»، «أنكسيمندر»، و«أنكسيمنيس». كتاب محكم الكتابة. دوَّنت

ملاحظات. نظرية طاليس نظرية بدائية صارمة. نظرية أنكسيمندر أعمق وأصوب. مع أنكسيمنيس نلتقي بمادية مفرطة العفوية بالنسبة إلى ذهن بدائي هو ذهن مُعلّمها. في الليل، في «كوليزيو» سهرة أنطونيت ووَالتر. سهرة رائعة، ضحكتُ كثيراً. انخرطت في محادثة مع أَحَدِهم مِمَّن حَسِبْتُه خَارِج المواضعات فإذا بي أكتشفه مُسْتَعبداً مثل أيِّ عَبْد. لا أملك أملاً في العثور على صداقة هنا، عليَّ أنْ أغادر بأسرع ما يمكن.

25 مارس

يوم أحد. مَكَثْتُ في المنزل. تأمَّلتُ نَفْسي كما أظهرتْني بَعْضُ الصُّور الفوتوغرافية للمجموعة، ولي وحدي. كُنْتُ أرتدي بذلة غريبة. مع ماريو* لَمْ أَقُمْ بشيء ولم أنجز شيئاً.

26 مارس

دروس في الفرنسية وفقه اللغة. لم يقَعْ ما يستحقُّ الذكر، نزلت إلى وسط المدينة مع ربيلو قُمْنَا بجولات معاً هناك. لاشيء، لم أقم بأيّ شيء.

27 مارس

دروس في الجغرافية والإنجليزية. يَوْم رُوتيني كباقي الأيام كلها تقريباً. قرأت «تاريخ الفلسفة» لهيغل كذلك قرأت عن المدرستين «الأيونية»* و«الإيليّة»*. عليَّ أن أُلِمَّ بمدارس أخرى، أنْ أقارن وأدوِّن ملاحظاتي. نَزَلْت إلى وسط المدينة. عليَّ كذلك بقراءة المزيد من الشعر لكي أُبْطِل مفعول الفلْسفة الصحيحة. لم أقم بشيءٍ آخر.

* ماريو دو سا ـ كارنيرو (1890 ـ 1916) شاعر برتغالي.
* نسبة إلى المدرسة الفلسفية التي ظهرت في أيونيا اليونانية.
* نسبة إلى المدرسة الفلسفية التي ازدهرت في إيليا (المدينة الإيطالية القديمة).

28 مارس

تغيَّبْتُ عن الدروس، وسأتغيبُ أيضاً غداً : ثمة اختبار كتابي في الجغرافيا وأنا لا أعرف شيئاً عن الموضوع. أكْره كلَّ عَمَل مَفْروض. في المكتبة الوطنية أواصل قراءةَ «تاريخ ويبر». مَازِلْتُ مع «المدرسة الإيليّة». لديّ مشروع سَفَر إلى إنجلترا. قبل ذلك عليَّ أن أُجْري عملية خِتان. لا مَعْنَى لأن أسافر إلى الخارج بمثل هذه البلوى. واصلت كتابة «الباب». كيف سأتمكن مِن نَقْل كتاباتي الخطية إلى الآلة الكاتبة. يجب أن أفكر جيّداً في هذا الأمر.

29 مارس

مُنشغل بالدروس مع تأملات خالصة بدون قراءات. انضافَتْ بعض البراهين إلى مِيتافيزيقاي.

الاثنين 2 أبريل

عيد ميلاد مَاريا. حرٌّ خانق. لم أفعل شيئاً على الإطلاق.

الثلاثاء 3 أبريل

دروس في الجغرافيا، الإنجليزية. عِبْءُ الأعمال المفروضة يتزايد. لَمْ أتمكَّن مِن الذهاب إلى المكتبة. كان عَليَّ أن أنتقل لِمساعدة ساردويرو، وَهُوَ ما قُمت به برغبة وحماس. كتبتُ : «سَيَقْضُون عليهم» : تأليف ساخر.

من الأربعاء 4 أبريل إلى الأربعاء 11 منه

لم أكتب يومياتي. لم أكتب شيئاً يستحق الذكر. قرأت «معرض التبجُّحات»، «رحلة إلى القمر»، ونصف رواية «رحلةٌ حول القمر» لـ جول بيرن. واصلتُ كتابة «الباب». توصَّلتُ إلى برهان إضافي يعزّز ميتافيزيقاي العقلانية. فكَّرت في بنية «الوثيقة المختلسة» : نسخة مُصحَّحة من الوثيقة : لإدغار بو أتصوَّرُ أنَّها كُتبت افتراضاً كقصّة حقيقية عن حادث «الوثيقة المختلسة».

الخميس 12 أبريل

زرتُ كُوشادو توزّيس. كان يكتب روايته الصغيرة. واصلت كتابة «الباب». قرّرتُ قبل أن أكتُبَ «تحت العتبة» كِتَابة ديوان قصائد بالإنجليزية مهاجماً فيه الدين إلخ...، لأنَّ قصائد «المعركة» التي كتبتُها تبدو لي غير مناسبة للنَّشر مع الشعر الغنائي ضِمْن مجلّد «تحت العتبة». عليَّ بمواصلة «تمرُّد».

بدأت، بعد التخطيط، بكتابة عمل بالإنجليزية ضدَّ عقوبة الإعدام، وربَّما ضدَّ السجن. عليَّ أنْ أقرأ أعمالاً حول الاختيار الحرِّ لأهاجم عقوبَة الإعدام.

القراءة قليلاً في كتاب روسو «اللامساواة». شَرَعْتُ في قراءة غِيرَّا جونيكرو «شيخوخَةُ الأب السرمديّ».

من الجمعة 13 إلى 17 أبريل

اشتغلتُ قليلاً نسبيّاً. كتبتُ بعض القصائد من ديواني الأول بالإنجليزية. خَطَّطت لمقالٍ حول «الجمهورية». ينبغي أنْ يُكتب بلغة بسيطة ليظهر بعد «تَمَرُّد». أوْجَدْتُ بعض البراهين الإضافية لميتافيزيقاي. ثمة الكثير مِمَّا عليَّ أن أقرأه. المكتبة مغلقة. ستفتح في 20 ديسمبر. خَطَّطتُ لكتابة أُهجية ضدَّ الزواج ـ المؤسسة في ذاتها، مَدنيَّةً كانَتْ أم دينية. أنهيتُ «شيخوخة الأب السرمدي». كثير من التفكير. القراءة لا شيء تقريباً. واصلتُ كتابة الباب وبدأت قراءة «وثيقة مختلسة».

الجمعة 20 أبريل

مازلت في عطلة. في المكتبة الوطنية بدأت بقراءة «نقد العقل الخالص» في الترجمة الفرنسية لـ بارني. كتبتُ قصائد عديدة. فكَّرت بِجِدٍّ في ميتافيزيقاي الخاصة. عليَّ بإنجاز ثلاثة بحُوث لدروسي الجامعية؛ ذلك سيأخذ منِّي قسطاً هاماً مِنْ وقتي،... عليَّ بإتمام العديد مِن القصائد القصيرة قَيْدَ التخطيط. بدأت أتعلَّم الألمانية. قرأتُ «معرض الأباطيل» لـ تاكيراي (لكن قِسْماً واحداً منه، طبعاً).

الجمعة 27 أبريل

هيَّأت بَحْثين مِن الأبحاث الثلاثة. قرأت (رغم قلة الوقت المتوافر لي) «نقد العقل الخالص» بترجمة بارني. قرأت «معرض التبجحات»، لم أتابع، وَلَو لدقيقةٍ واحدة هذا الأسبوع دُروس الألمانية. عليَّ أن أبيع مجموعتي المتواضعة مِن الطوابع البريدية لأُعيد إلى عَمِّي أنطونيو 3000 ريالاً (اقترضتُها منه لا شعورياً لأشتري «حياة شيلّي» لـ دويدن). أنْهَيْتُ «الباب». تنقصها فقط بعض اللمسات الأخيرة. أحتاج إلى قليل من المال لأتمكّن مِن استخراج بعض النسخ مِن «لأجل الجمهوريّة»، أو أعمل، بالأحرى على طبعها.

11 ماي

بدأت قراءة جديّة لجميع الكتب التي قرأتها بدون كبير استفادة، في زمن الطفولة والمراهقة. قرأت «رحلات شيلدي هارولد» و«النشيدين I وII من الميلوديات اليهودية» لبايرون؛ «عشية القديسة أغنيس» لكيتس، الفصول الأولى من «رجل مجرم» للومبروزو، وقصيدة قصيرة لشيلر (ترجمتها بصعوبة - لأنني في بداية تعلُّمي الألمانية) أنا في طور التحضير لفلسفتي المغشوشة «حول فينومنلوجيا المعجم» لدرس فقه اللغة؛ الموضوع الذي طُلب منَّا الإعداد له هو «التوجيه المعجمي». عليَّ أن أحصل على بعض المال من إنجلترا بإرسال كتاباتي. عدم امتلاكي آلة كتابة أمرٌ محزن. بالمال الذي أحْصل عليه عليَّ أن أحاول شراء واحدة.

السبت 12 ماي

حصص دراسية. لَمْ أفعل شيئاً ذا بال. لم أقرأ شيئاً يستحقُّ الذكر.

الأحد 13 ماي

يوم مكفهرّ وممطر؛ مَكَثْتُ في البيت قَرَأتْ شيئاً عن الفلسفة السيكولائية في الـ Vallet. قرأت خمسين صفحة من «آلام وترانيم».

الاثنين 14 ماي

دَرْسٌ في فقه اللغة. كنت أتمشَّى هناك ضائعاً في وَسَاوِسِي. في الليل أمْضَيْتُ وقتاً طويلاً في «الساردِيرا» من السادسة والنصف إلى الحادية عشرة في العمل على تحضير الدروس، أو بالأحرى في التَّظاهر بالعمل.

الأربعاء 16 ماي

حديث مع إنريكي روسا، أنصتُّ إليه وهو يقرأ عليَّ بصوت عَالٍ نقداً رَائعاً لـ«الكلمات الكَلْبية» لسامبايو. عَقْلٌ رَحْبٌ وعجيب. فيلسوف متشائم مِن الطراز الأول. مَعْرفَتُه العِلميّة كبيرة؛ ترك لي «الكلمات الكلبية» و«الإنجيل الجديد» لسيلبا باسوس. قرأت النصْف من الكتاب الأول.

الجمعة 18 ماي

يوم دراسة. في المنزل واصلتُ عملي على البحث اللغوي أو بالأحرى، محاكاتي الهزلية للبحث. لم أقرأ شيئاً. لم أجد الوقت الكافي.

19 ماي

لا شيء ذا أهمية. قرأتُ شاتِّرتون. أنهيتُ قراءة «كلمات كلبية». بحثي اللغوي متوقِّف لِنقص الأدلة المتخيَّلة.

الأحد 20 ماي 1906

قضيت اليوم بكامله خارج المنزل. لم أقرأ شيئاً بتاتاً.

الاثنين 21 ماي 1906

حضرتُ درسين في الفرنسية وفقه اللغة. لم أقم بشيءٍ عَدا ذلك.

الثلاثاء 22 ماي

الجغرافية والتاريخ. قرأت «الطائش» لموليير.

الأربعاء 23 ماي

حضرتُ درساً في التاريخ. أمضيتُ اليوم كله مريضاً جدّاً، لكن ليس في الفراش.

الخميس 24 ماي

قضيتُ النهار في «بدروسوس» ذهبت إلى هناك مشياً برفقة ماريو. تناولت العشاء ثم عُدْت.

25 ماي

دروس : الفرنسية وفقه اللغة. قَرَأتُ «كيتس» وَ«هوس الشعر» لـ بايرون. قرّرت بَدْءاً من اليوم فما بعده قراءةَ كتابين كلَّ يوم - واحد في الشعر أو الأدب، والثاني في الفلسفة أو العِلم ـ أنهيتُ العَرْض الأول من عملي الفلسفي الأوّل.

السبت 26 ماي 1906

قرأت غريسّيت : «أخضر ـ أخضر» و«الصوم المرتجل» وكذلك الفصل الأول من «الرجل الشرِّير» قبل الإفطار. كتبتُ قصيدة عَنْ أشخاص في قطار : بعنوان «سُكْر وخوف» استوحَيْتها مِمَّا حَدَث يوم الخميس لَمَّا عدنا من «بيدْرُوسُوس» ووجدنا أنفسنا في قطار مكتظٍّ بجماعة من السكارى. تخيَّلت ماذا سيفعلون لو وقعت حادثة اصطدام للقطار. فإذا بي أرى فرحهم ينقلب إلى رعب. وهكذا كتبت القصيدة تعبيراً عَنْ حقيقة مؤلمة. بعد الدروس عُدْت مباشرة إلى المنزل؛ قرأتُ الفصل الأول من «اللغز» لـهايكل بَدَأت كتابة رسالة إلى «رئيس الشهداء».

الأحد 27 ماي 1906

نهارٌ لا تُحتمل حَرَارته. قُمْتُ برحلة قصيرة إلى «بيلاس» كان القطار مرعباً. خصوصاً تحت النفق عند العودة. أحست بالاختناق. لم أقرأ شيئاً: كانَ ذلك مستحيلاً.

الاثنين 28 ماي

دروس في الفرنسية: فقه اللغة والتاريخ (درس إضافي). تجوّلت صحبة كورادو. كانت جولة نقاش فلسفي. إنه على ثقافة وفكر أعلى منّي وأفضل. حرارة هذا النَّهار أفظع من أمس. الحياة لا تطاق إطلاقاً. قَرَأْتُ الفصل الثاني من «اللغز» لـهايكل.

الثلاثاء 29 ماي

محاضرة في الجغرافيا ودَرْسٌ في الإنجليزية. نهار شديد القيظ. أسوأ الأيام حتى هذه الساعة. لم أقرأ شيئاً: مستحيل.

الأربعاء 30 ماي

لا دروس اليوم؛ بقيت في المنزل. قرأت بصوت جهير للخالة أنيكا. لَمْ أقُمْ بشيء آخر.

الخميس 31 ماي

درسان: درس في الجغرافية، وآخر ممتع في الإنجليزية. يوم أحسن مِمَّا سبق؛ لم أفعل شيئاً يستحقُّ الذكر.

الجمعة 1 يونيو

احتفال: افتتاح البرلمان. حَشْدٌ من الجمهوريين تَظاهروا بدُون فوضى تُذكر. قَرَرْتُ، بحماس كبير، كتابة أُهجِيتي. ثم القراءة.

السبت 2 يونيو

درس في التاريخ. تجوَّلت عَبْر المدينة. بلا مبالاة وبلا رُفقة. لم أقْرأ شيئاً.

الأحد 3 يونيو

(لم أدوِّن شيئاً).

انشطر فؤادي بداخلي آلاف المرَّات. لستُ قادراً على عدِّ نوبات النحيب التي انتباتني، والآلام التي أذابت فؤادي.

ومع ذلك. رأيت أيضاً أشياء ملأت بالدموع عينيَّ أشْياء هزَّتني مثل ورقةٍ منسيّة. رأيتُ رجالاً ونساءً وَهَبُوا حياتهم، آمالهم، وكُلَّ شيء لأجل الآخرين. رأيت أعمال تضحيات كبرى جعلتني أذرف دموع الفرح هذه أشياء رائعة، فكّرتُ، رَغْم أنها لا تَهبُ خلاصاً. إنَّها أشعة خالصة من الشمس الساطعة فوق الجبل العظيم لِرَوْثِ العالم.

شارل ـ روبير أنون*

رأيت إلى الصغار...

كراهية المؤسسات، المؤتمرات، أشعلتْ نَارَها في روحي. كراهية الآباء والملوك نَمَتْ بداخلي مِثْل سَيْلٍ جارف. كنتُ مسيحيّاً متوقّداً، متحمّساً، صريحاً؛ طبعي الحسَّاس الانفعالي كان يطلب المزيد من النَّار لإطفاء جوعه والغذاء لِلَهَبَه. لكن لَمَّا رأيتُ أولائك الرجال والنساء المعذَّبين والضّعاف أدركتُ أنَّهم لا يستحقّون إطالة جحيمهم. أيُّ جحيم أكبر مِنْ هذه الحياة ؟ أي لعْنة أقسى مِنْ هذه الحياة ؟ «الإرادة الحرّة» : قُلْتُ لنفسي هذا اصطلاح آخر بُهْتان آخر اخترعه الإنسان ليتسنَّى لَهُ ممارسة العقاب والتعذيب في كنَفِ أو تحت مُسمَّى كلمة عدالة الاسم الذي تتخفَّى تحته كلمة جريمة. «لا تحكموا»،

* شارل روبير أنون : أحد أسماء بَيسوا المستعارة استخدمه مرات عديدة في يوميات. ظهر اسمه للمرة الأولى بإمضائه في جريدة محلية في مدينة دوربان (جنوب إفريقيا) هي جريدة «NATAL Mercury» في يونيو 1904.

يقول الكتاب المقدس : «لا تحكموا ولا تكونوا محكومين».

لما كنتُ مسيحيّاً آمنت بأنَّ الناس كانوا مسؤولين عن الشرِّ الذي اقترفوه؛ كنتُ أكره الطغاة وألْعَنُ الملوك والإكليروس. فَلَمَّا تحرَّرتُ من «الأوهام» ومن التأثير الزائف لفلسفة المسيح كرهت الطغيان الملكيةَ، الكهنوت : الشرَّ في ذاته. تجاه الملوك والإكليروس أحسستُ بالحسرة، لأنَّهم أنفسهم كانوا بشراً .

شارل ـ روبير أنون

حِرْمٌ كنسيٌّ

أنا، شارل ـ روبر أنون، مخلوق، حيوان ثَدْيِيٌّ، رُباعي القوائم، شريف، لطيف، قرد ـ إنسان، في الثامنة عشرة، أعزب (مع استثناءات معيّنة) مُصاب بجنون العظمة. مع أعراض إدمان جنونيٍّ للكحول، مُنحطٌّ أعلى*، شاعر، كاتبُ أهاجٍ، مواطن كوني، فيلسوف مثالي، إلخ، إلخ... (لتجنيب القارئ المزيد من المتاعب.)

باسم الحقيقة، العلم والفلسفة، وليس على قرع الأجراس، لا بالكتاب والشمعة، وإنَّما بالورق، المداد والقلم.

أُعْلِن إدانةَ الحِرمِ الكنسِّي ضد جميع القساوسة وعقائد كُلِّ ديانات العالم.

اتْرُكوا الكنيسة

ولتكونوا جميعاً ملعُونين.

*Ainsi- Soit- il

العقل، الحقيقة والفضيلة، من لدن ش، ر، أ.

أحسست بداخلي، بمسافة متدرِّجةَ رهيبة بين العالم وبيني؛ الفارق بين الآخرين وبيني كان أكبر من أي وقت مضى. المودّة العائلية ـ من عائلتي تجاهي ـ اتَّخذتْ مظهراً بارداً مؤلماً إزاء حرارة عاطفتي تجاه الإنسانية. لقد اكتسح القَرَفُ من الحياةِ روحي. أصبحتُ مُعَادياً لِآراء الآخرين بالرغم من استمرار محبتي دائماً

*. بالفرنسية في الأصل: dégénéré superieur.

*. هكذا بالفرنسية في الأصل.

للإنسانية. مع توالي الأيام بَاتَ تَنامِي الفراغ الرهيب أكثرَ جلاء. لقد كنتُ عبقرياً. أدركت الحقيقة. وبإدراكي هذا أدركت أنني لكوني عبقرياً، كنت مجنوناً أيضاً.

لأجل النجاح يحتاج المرء إلى ثلاثة أمور حسب الدكتور رايش : الجغرافيا، التاريخ، والدين. سأستبدل «بالدين» «الإيمان» الذي أعني به الإخلاص.

لكن إن كان ما يَعْنيه الدكتور رايش هو النجاح في العالم، حينئذ أقول إن ما ينقص هو ثلاثة أشياء :

الافتقار إلى الوعي والوساوس. القسوة. الاهتمام. إذا كانت هذه الأشياء متتابعة واحدة بعد الأخرى بيسر، فلأنها متّحدة منطقيّاً، بحيث نَسْتَطيع توصيفها جميعها بكلمة واحدة : الإجرام، أو الميل إليه.

شارل ـ روبير أنون

1907 / 07 / 25

إنني متعبٌ من استسلامي لنفسي ذاتها، مِن رِثائي لمصائبي، من حَسْرَتي وبكائي ذاتي. لقد حَدث لي شيء شبيه بحادث وَقَعَ لي مع عَمَّتي ريتا حول ف. كوهيلو. بعدئذٍ، وعلى الفور، ظَهَرَ عليَّ واحد من تلك الأعراض التي يَزداد مفعولها شدّة وتأثيراً عليَّ : نوع مِنْ دوار معنوي. في الدُّوار الفيزيقي يحدث انعكاسٌ للعالم الخارجي فينا؛ في الدُّوار المعنوي يتولّد انعكاسٌ للعالم الداخلي. للحظة مُعيَّنة امتلكتُ إحساساً بفقداني العلائق الحقيقية بالأشياء فقداني الفهْمَ وسقوطي في هاوية نُعاسٍ للذكاء.

إنَّه إحساس رهيب يَهجُمُ بِرُعب خارج السيطرة. وهذه الأحاسيس يزداد توائُرها، كما لو كانت تُمهِّد الطريق لِوَضْع ذهني آخر، لن يكون شيئاً غير الجنون، فيما أفترض.

لا أحد في عائلتي يَتَفَهَّم وضعي الذهني؛ لا أحد. يَسْخرون مِنِّي وينالون من ثقتي بنفسي؛ يقولون أنني أحاول أن أكُون فوق العادي. لايمكنهم أن يدركوا ألّا فارق بين أنْ تكون فوق العادي وبين أن تَرْغَب في أن تكونه سوى

في الوعي الذي يُضاف إلى هذه الرغبة. هو الأمر نفسه الذي حَدَث لي لمّا كنت ألعب بتماثيل الجنود الصغيرة في سنّ السابعة. ثم في الرابعة عشرة. في البداية كانت مجرّدَ أشياء، بعدئذ صارت أشياءَ وَلُعَباً في الآن نَفْسِه؛ غير أنَّ الدافع إلى اللعب بها ظلَّ قائماً، وذلك كان الوضع النفساني الواقعي الرئيس.

لَا أحد مَوْضعُ ثقةٍ عندي. عائلتي لا تَفْهَم شيئاً. أصدقائي لا أريد مُضَايَقتهم بهذه الأمور؛ ولا أصدقاء حقيقيين عندي. وحتى لو كان لديّ نوع مِن الحميمية مع أحدهم، على مستوى عَاديٍّ، فلن يكونوا على النحو الذي أفْهَمُ به الحميميَّة. أنا كائن خجول. لا يروقني إطلاع الآخرين على انشغالاتي. أصدقائي الحميمون هُمْ مِن لِدَاتِ تصوُّراتي، مِمَّنْ أحْلم بهم في يقظتي، مِمَّن لَنْ أمتلكهم أبداً. مَا مِن شكل من أشكال الكينونة يَنطَبِقُ عليَّ، ليس ثمة أيُّ طبْعٍ أو مزاج في هذا العالم قادِر على أن يعكس أدنى فرصة للدنوِّ مِمَّا أَحْلُم به كصديق حميم. لندع هذا كله مرة واحدّة.

لا محبوبة عندي ولا رفيقة حلوة عدا ما تجود به عليَّ تخيلاتي المحبطة تماماً في فراغ مطلق. لا يمكن (للرفيقة) أن تكون كما أَحْلُم بها. آه ألاستور، شيللّي؛ كيف لي أن أفهمك. أيمكنني أنْ أثق بأمّي ؟ ليتها كانت بجانبي. حتى أمّي لا أستطيع أنْ أُودعها أسراري. لكن حضورها مِن شأنه أنْ يلطف كثيراً ألمي. إنني أشبه بغريق في عُرض البحر.

أنا غريق فعلاً. هكذا إذَن أَثِقُ بنفسي، فقط بنفسي. أيُّ نوع من الثقة في هذه السطور ؟ لاشيء. أعود إلى قراءتها فيوجعني الفؤاد بتنبّهي إلى ما تحفل بِه من ادّعاءات من كونها تبدو شبيهة بيوميات أدبية لَعَلّي حَصَلت في بعضها على أسلوب معيّن، وهو ما لا يقلّل من معاناتي بسبب ذلك. بوسع المرء أن يعاني ببذلة حرير نَفس ما يعانيه في كيس أو تَحْت غطاء ممزّق. لنتوقف عند هذا الحدّ.

ميثاق حيويّ لألكسندر سيرش

ميثاق مقدَّم من ألكسندر سيرش، من الجحيم الكَائِن في اللامكان، إلى يعقوب إبليس المهيمن، وليس الملك، على هذا الفضاء :

1 ـ لا تنحرف أبداً عن هدفك : أن تفعل الخير للإنسانية.
2 ـ لا تكتب شيئاً يمكن، لشهوانيته أو لدوافع أخرى فاسدة، أنْ يُؤذي أُولائك الذين يقرؤونه.
3 ـ لا تَنْسَ أبداً، عندما تُهاجِم الدين باسم الحقيقة، أنَّ الدين يَصْعبُ تعويضه، وأن الرجال التّعساء ينتحبون في الظلام.
4 ـ لا تَنْسَ أبداً معاناة الناس ولا شقاءهم.

ألكسندر سيرش
2 أكتوبر 1907

الزَّاد الأدبي الأول لطفولتي تمثَّل في مختلف القصص الغامضة والمغامرات المرعبة. لم أُوْلِ أبداً أيَّ اهتمام للكتب المسمَّاة كتب الأطفال والتي تتناول التجارب العاطفية الفجّة. لَمْ أجِد أبداً ضالَّتي في الحياة الصحيّة السليمة والطبيعيّة. لم يَسْتَهْوِني الممكن، بل المستحيل بطبيعته.

عشتُ طفولةً هادئة، تربيتي كانت مناسبة. لَكِنْ مُنْذُ امْتِلاكي الوعيَ بذاتي، أَحْسَسْتُ فيَّ بنزوع فطري إلى الخداع، إلى الكذِب الفنّي؛ مع شغف كبير، فضلاً عن ذلك، بما هو رُوحاني، مَا هُو سرّي وملغز، مَا هُو مُعْتم وهو ما يمثّل، بعد كل شيء، مجرَّد تنويع على ذلك المَلمح الأوَّل لذاتي ولشخصيتي التي تبقى مغطّاة تماماً بالحَدْس.

نوفمبر 1907

تَأْخُذ أَفْكَاري أَحْياناً اتِّجاهاً يحملني على الشعور بأنَّني مَجْنُون. لا أعرف ما تعنيه هذه الأفكار في عمقها، ولا أجرُؤ على محاولة اكتشاف ذلك. إن مجرَّد التفكير في تَحليلها يُرعبني : تلك هي طبيعتها. دُوَار ذهني...

«الكَلْبي» ليس بأكثر من متشائم فرحان. لا يمكن أن يقال عنه زيادة.

كم كان ممتعاً عَشَاء أَمْسِ ! كم كان أعمامي وخالاتي، وأبناء عَمِّي مبتهجين،

الكل كانَ بهجة الكُلُّ كان غبطة، براعةً وتقارباً. مسكين «فراي موريسيو»*. كُنْتَ هناك وكُلُّ شيء كان بارداً، بارداً، بارداً. مسكين «فراي موريسيو». «فراي موريسيو» كان مجنوناً. لا يضحكنَّ أحدٌ مِنْ «فراي موريسيو».

لا يضحكنَّ أحدٌ من أَحَدٍ، لا يَسْخَرنَّ أحد من أحد، ولا حَتَّى في دخيلته. الحياة الإنسانية أخطر وأدعى للكآبة مِن أن نجعلها عُرْضةً للضحك.

إضحكوا مع الأطفال من الأشياء البسيطة التي تجعلهم يضحكون. لكن لا يَضْحَكنَّ أَحَد مِمَّا عَدَا ذلك.

لديّ أفكار إن استطعتُ تجسيدَها ومنحَها حياةً يمكنها أن تضيف سطوعاً جديداً إلى النجوم، جمالاً جديداً إلى العالم وحُبّاً أعظم إلى قَلْب الإنسان.

لماذا أنا تَعِسٌ إلى هذا الحدِّ ؟ لماذا أنا ما لا يَجب أَنْ أكون. لماذا نِصْفي مُعَارِض لنصفي الآخر ؟ ونَصْرُ أحَدِهما هو هزيمة الآخر. والهزيمة عذاب. هو عذابي دائما.

ثمة طرف منّي كبير ونبيل، والآخر حَقير ودنيء وهما معاً جزءٌ مِن ذاتي. عِنْدما يَنتصر الطرف الكبير فيّ، أعاني بشدَّة ـ لأنَّ الطرف الآخر الذي هو حَقّاً أَنَاي الذي لم أنجح في إخراجه من داخلي ـ يعاني ويتألم. وحينما يَتفوَّق الطرف الخسيس فيَّ، يتألم الآخر النبيل ويتشكّى. الدموع نبيلة كانت أم خسيسة تبقى دائماً دموعاً.

حينما أسمع حديثاً عن تفاقم الرذائل، الدَّعارة والفساد، يَعْروني أَلَمٌ لا يوصف، استياءٌ عميق. لِمَ هذا التمرُّد ؟ لِمَ يَعْرُو الغيظُ جزءاً منّي فحسب وليس الكل. الجزء النبيل حقاً وحده فقط. لكن الجزء الآخر مِنّي مُتهلِّل، وإنْ كانَ محجوباً. لذلك كان غَيْظي شديداً : إنَّه غيظُ الحَرْب، والحرب الأهلية مَعاً في احتدام واحد. أعاني لأنني لَسْتُ طيّباً بِحَقٍّ.

لا أعاني بعمق لأجل حُبٍّ لا نهائي للإنسانية، لأَجْل رَغْبةٍ ثابتة لفعل الخير، للدفاع عن الضّعاف، للقيام بخوارق.

* فراي موريسيو : استخدمه تيسوا أحياناً كإسم مستعار في فترة مبكرة ثم عاد إلى الظهور مرات قليلة في أعماله اللاحقة.

غالبا، حينما أشعر بي ضعيفَ الإرادة حائراً في قراراتي أقول لنفسي : سوف أترك جميع تلك الأفكار الإيثارية؛ هكذا قَدْ لا أستمتع بالحياة، لكن على الأقل لَنْ أَنْشَغِل بشيء، سأتخلّى عن كل شيء.

لكنني لَا أستطيع، لحسن الحظّ، لا أستطيع.

الخير الموجودُ بِدَاخلي أكثر مِن الشرِّ.

أَهَذِه أفكاري ؟ ماذا ؟

أيُّ أفكار ستكون لديَّ في المستقبل؟

فظاعة، فظاعة، فظاعة ! الشك، الشكّ.

أعرف أني لَنْ أستخدم موهبتي في شبق أو فجور، أَعْرف أنّني لَنْ أدافع عن الأكاذيب. لَكِنْ ماذا عن الأفعال الخصوصية لحياتي، أفعالي الحميمة ؟ هل ستكون نقيّة وطيِّبة ؟ بماذا يحتفظ المستقبل لي ؟ وأنا من مستقبل أيِّ خَسارة أو أيِّ رِبْحٍ جُبِلْتُ ؟

فراي ماريسيو

يناير 1908

أوّل عمل تمرُّدي ضِدَّ مَا هُو مُؤَسَّس، ضدَّ مَا هو مألوف حَدَثَ لي في أول يوم من 1908.

في ذلك اليوم كنتُ مع خالتين لي مَدْعُوِّين لِلعشاء في منزل ابن عَمِّي إ. م في شارع «أَلْسِرين» الموجود في المدينة قرب النهر. أ. م لم يَكن بالضبط هو المتكلِّم، وإنَّما زوج ابنة خالتي لاوْرِيندا، ابنة واحدة مِنْ خالات أُمِّي، أخت الخالتين اللتين كانتا تعيشان معي. إنَّني أقدِّر بِنْتَ خالتي لاوريندا كما أُقَدِّرُ جميع أفراد عائلتي وكما أقدِّر جميع الأشخاص على العموم. لم أشعر تجاهها ولا تجاه زوجها ـ الذي كان لطيفاً دائماً معي ـ بذلك النفور وذلك الاشمئزاز اللذين يثيرُهُما فيَّ بعض تجليات رُوح الكائنات البشرية وبذلك لَمْ أَدْر إذن ما الذي استطاع حَمْلِي على عدم الذهاب إلى ذلك العشاء. أتصوَّر وأظنني عَلى صواب، أنَّ لقائي المحتوم بذلك العدد من الناس مضافاً إليه القوة

الهائلة لِنُفوري المتنامي من المجتمع دَفَعني إلى أول فِعل تمرُّدي حُرٍّ. ولِتفَادي حُدُوث أيّ مُشكل تمارَضْتُ لأيام قبل المناسبة مُتصنّعاً التَّوعُّك متوانياً؛ مِمَّا جعلني مريضاً بالفعل إلى حَدٍّ ما كما كنتُ وكما أنا على الدوام. دَائماً لديَّ ألم معين. وذلك لم يكن عائقاً لعدم ذهابي إلى العشاء. في اليوم السابق لنهاية العام لَمْ أذهب إلى المكتب؛ كان يوماً بارداً بَدَا لي مُنْذراً بعاصفة؛ مِمَّا جعلني أمكث طوال النَّهار في المنزل خوفاً مِمَّا قد يُسبِّبه لي ذلك من معاناة. في المساء خرجت، لكن بألم حقيقيٍّ في الرأس...

1908 / 09 / 05

ليمنحني الله القوّة اللازمة لأتصوَّر ولأفهم التركيبة الكاملة للسيكولوجيا والتاريخ السَّيكولوجي للوطن البرتغالي.

كُلَّ يوم تحمل الصحف لي أخباراً بوقائع مُذِلَّة لنا، نحن البرتغاليين. لا يمكن لأحد أن يتصوَّر مَدَى ما تُسبِّبُه لي مِن معاناة. لا أحد بِوُسعه تخيُّل اليأس والألَمِ الحادِّ الذي يجتاحني إزاء هذه الوقائع. آه، كَمْ مرَّات حَلُمتُ وأحلم بذلك الماركيز «ماركيز طابورا» الذي يجب أن يجيء ليخلِّص الوطن ذلك الرجل الحكيم الرجل الحقيقي العظيم الشجاع الذي سيقودنا. لَكِنْ ليس ثمة ألم يُمكن أنْ يعادل الألم الذي أحسّه حينما أدْرك أن ذلك لَيْسَ بأكْثر مِنْ حلم.

لست سَعيداً أبداً لا في لحظاتِ أَثَرَتي ولا في لحظات إيثاري. سَلواي أجدها في قراءة **أنتيرو دي كينتال*** نَحْنُ، بعد كل شيء توْأمٌ روحيٌّ. اه، إلى أيِّ حَدٍّ أفهم ذلك الألم العميق الذي كان ألَمَه.

علي أن أكتُب كتابي. أخشى ما يمكن أنْ تُظهره حقيقتُه. عليَّ بكتابته، مَهما كانت سَيِّئة. فلتكن غَيْرَ ذلك، بمشيئة الله.

ودِدتُ لو كَتَبْتُ هَذَا بأسلوب أفضل. لكن قُدْرَتي على الكِتَابة تَلَاشَتْ.

* شاعر برتغالي من القرن 19.

1908 / 10 / 30

لم توجد قَطُّ رُوح أكثر وُدّاً وَحُنوّاً مِن رُوحي، أكْثَرُ طيبة ورأفة وأكثر تعاطفاً وتقارباً وحبّاً. مع ذلك لا وجود لِرُوح أشدَّ وَحْدة من روحي؛ ليست وحيدة لظروف برّانية وإنما لعوامل باطنية. هذا ما أود قوله : إلى جانب حُنوِّي الهائل وطيبتي ثمة عُنصرٌ في طبعي مُعَارض كلية، عُنْصرُ غَمٍّ وأنانيةٍ ذو مَفعول مزدوج : يمْنع ويلغي نُموّ تلك المزايا الباطنية والحيلولة، بما يسبّبه من غَمٍّ، دُون تجسُّدها خارجياً بالإعراب عنها. علي أن أحلِّل هذا كلّه في يوم من الأيام؛ يجب أن أختبر بعناية، وأن أميِّز بين هذه العناصر المكوِّنة لطبعي؛ ذلك أن فُضولي إزاء الأشياء كُلِّها، مَضموماً إلى فضولي تجاه ذاتي نفسها وتجاه طبعي الخاص، سيقوداني إلى مُحاولة فَهْم شخصيتي.

ونتيجة لهذه المميّزات كتبت هذه العبارات في يوم شتائي وَاصِفاً نفسي على الوجه التالي :

رَجُلٌ مِثْل رُوسو..

خَيِّر مُحب للإنسانيّة.

لديَّ بالفعل، الكثير مِمَّا يجعلني شبيهاً بـروسو. فَطَبْعَانا مُتماثِلان في أوجه معينة، ومنها ذلك الحب الحاني القويّ اللايوصف للإنسانية مع قَدْرٍ معيّن مِنْ حُب الأنا. وهو ما يضفي نوعاً من التوازن. ذلك مَلْمَحٌ رَئيسٌ في طبعه وفي طبعي أيضاً.

إن معاناتي القوية لأجل وطني ورغبتي الشديدة في تحسين وضعية البرتغال تجعل ـ كيف لي أن أعبِّر وبأيّ قوّة، بِأيّ حنان وبأيٍّ هدوء... ـ آلاف الأفكار والمشاريع تنبثق بداخلي، لكنها لكي تُنْجَزَ مِن شَخْصٍ ستتطَلّب منه مزايا غير متوافرة البتّة فيَّ : أعني قوّة الإرادة. لكنني أعاني ـ أعانيَّ حَدَّ الجنون، أقسم على ذلك ـ كما لو كنت قادراً على إنجازها لَوْلا افتقاري إلى الإرادة. وإنَّها لمعاناة رهيبة تَضَعُني بشكل دائم، أُلِحّ، على حَافّة الجنون.

... لا أحد، لأنني غير مفهوم علاوة، يمكن أن يرتاب في حُبِّي لوطني

الأَكْثَر شدّة مِنْ حُبِّ أيِّ شخص آخر أَعْرِفه. ومَعَ شدّة تكتّمي في إظهار هذا الحب كيف لي، حينئذ، أنْ أعرف أنّ الآخرين لا يشعرون بهذا الحب ؟ كيف أستطيع الحكم بأنَّ حَالتهم غَيْرُ حالتي ؟

ألكسندر سيرش

يتملّكني الغيظ. أريد أن أَفْهَمَ الكل، أن أعرف الكل، أنْ أعاني الكلّ. أجل أن أعاني كلّ شيء، غير أنني لا أملك شيئاً مِن هذا الكل، لا شيء، لا شيء. أنا مُلْغَى مِن قبل فكرتي عمَّا أرغب في امتلاكه، في الاقتدار عليه، في الإحساس به. حياتي حُلم شاسع. أفكّر، مرَّات، بأنْ أرغب في اقتراف جميع الجرائم، جميع الرذائل، أن أشرب الجمال الحقيقة الخيرَ في جرعة واحدة ثم أنام بعدئذ إلى الأبد في الحضن السَّاكن للعدم.

دعوني أبك

أنا قاعد هنا، أكتب على طاولتي بقلمي في يدي، إلخ... وبغتةً يهوي عليّ سِرُّ الكون فأتوقّف، أرتجف، أشْعُر بالرعب. أشعر بالرغبة في أن أتخلى عن الإحساس، في أن أقتل نفسي، في أن أَسْحَقَ رَأْسي بالحائط.

سعيدٌ من يستطيع التفكير بعمق؛ غَيْرَ أن الإحساس بذلك العُمْق لَعنةٌ. كيف أستطيع وصف هذا ؟

رُعْبٌ ينضاف إلى آخَرَ. ثمة شيء مِنْ هذا في الموسيقى. الموسيقى هي الجانب الإيجابي مِن هذا، هي الجانب الأنثوي.

ليس ثمة رَجُل تغلغل في حياته السِّرُّ كما تغلغل في حياتي. بِنَفْس الروح العائلية إن جاز لي التعبير. إنَّ سِرَّ العالم لا يتملّك أفكاري فحسب، وإنما مشاعري أيضاً.

إنني الآن بحاجة إلى أن أحدِّد أيَّ نوع من الرجال أكون. اسمي لا أهمية له، مثل باقي التفاصيل الخارجية. إنه مزاجي هو ما يستحق التوصيف.

كلّ ما يتكوَّن منه مزاجي محضُ التباس وريبة لا شيءَ يوجد أو يمكن أن يُوجد على نحو يقيني بالنسبة إليَّ؛ الأشياء كلّها تبدو مهتزَّة حواليَّ ومعها ارتيابي نفسه. الكل بالنسبة إلي في حال دائمة مِنْ عدم اتساق وتغيّر الكُلّ سرٌّ والكل

مفهوم. الأشياء كُلُّها رموزٌ مجهولة للمجهول. والكل، تبعاً لذلك رعبٌ، سِرٌّ، خَوْفٌ يتخطّى الذكاء.

بسبب ميلي نفسه إلى ما أحاط بطفولتي الأولى بسبب تأثير الدراسات التي قُمت بها بتوجيه من هذه الدوافع، أنتمي إلى ذلك الصنف من ذوي الطبع الباطني المنكفئ على ذاته، الصَّمُوت مِمَّن لا يكتفي بذاته وإنما يُضيِّع ذاته نفسها. حياتي كُلُّها كانت حُلماً ولا مبالاةً. مزاجي مَصْنُوعٌ بتمامه من رَفْض، من رُعْب، مِنْ عَجْز، تجتاح كلَّ ما أنا إيّاه، فيزيقيا وذهنياً وتقودني إلى أفعال حاسمة وأفكار نهائية. لم أتَّخذ قطّ أيّ قرار نَاجِم منِّي. لَمْ أتصرف البتة وفق إرادة واعية، ولم أتمكَّن من إنهاء أيِّ كتابة كتبتها. أفكاري دائماً وُلدت مختلطة. أفكار غريبةٌ، لا تُغتفر، تتبّع الحدَّ حتى اللانهائي. لا أتمكّن من كبح كراهية تفكيري للنهاية. من شيءٍ واحد تنبثق عندي مئة فكرة. وعن هذه الأفكار المئة تولد ألف مِن ترابطات أفكار أخرى. تتخذ فيها أساساً لها ولا أملك قوّةَ إرادةٍ لإزالتها أو إيقافها ولا حتى لتجميعها في فكرة واحدة مركزية تَسْمح بإقْصاء التفاصيل الصغيرة التافهة. وتظل تلاحقني أفكارٌ ليست أفكاري تلاحقني. أنا لا أتأمَّل، بل أحلم. أُهَلْوس، لا أتلّقى إلهاماً. أستطيع أنْ أرسم لكنني لم أجرِّب الرسْمَ قط. أنا قادر على التأليف الموسيقي غير أنني لم أحاول ذلك قط. ثمة تصوُّرات غريبة عن الفنون الثلاثة تداعب خيالي. غير أنني أنوِّمها تماماً حتى تموت فأنا لا قُدْرة لي على تجسيدها فتحويلها إلى أشياء من هذا العالم.

إن طبيعتي الكينونية بالصورة التي هي عليها تكره فكرة مبتدإ ومنتهى الأشياء. لأنهما نقطتان محدّدتان. إن فكرة إيجاد حلول للمشاكل الكبرى الأكثر نبلاً للعلم، للفلسفة تحزنني. وجود أفعال ووقائع منغلقة حول الله أو العالم تُرعبني. كونُ الجزء الأكبر من الأشياء التي تنفتح يتوجّب إغلاقها، كون الناس ينبغي أنْ يكونوا سعداء، أنْ يجدوا حَلًّا للشَّرِّ الذي يُؤلم المجتمع، مجرَّد فكرة بسيطة عن هذا كله تُجنِّنُني. وبرغم ذلك فأنا لَسْت شرِّيراً ولَا قاسياً. أنا مجنون جنوناً عسيراً على الفهم.

كُنْتُ دائماً قارئاً نَهِماً، ومع ذلك، لا أتذكَّر أيّاً مِن قراءاتي. إنها هناك بعيدة جداً عن ذهني ذاته، عن أحلامي، أو بالأحرى عَنْ أصُول أحلامي. إن ذكراي

الخاصّة عن الأشياء، عن الوقائع الخارجية، غيرُ محدّدةٍ أكثرُ من كونها غيرَ مترابطة. إنني لأرتجف حالما أفكر أنني أحتفظ بالقليل القليل مِنْ ماضيَّ. أنا الرَّجل الذي يجزم اليوم بأنه محض حلم. أنا أقلُّ مِن شيءٍ مِن أشياء اليوم.

أرغب في أنْ أتحرَّر، بلا شكوك ولا قلق، من هذا الإجراء الباطني الذي يعذِّبني تَنْفيذه المفروض أو اللامنتهي لِكَي أنام مِنْ ثمَّ بهدوء في أيِّ مكان، مغطّى بِمَوْزةٍ أو أرْزة حاملاً في روحي الشعورَ بالواجب المؤدّى، كما لو كان قطعة من العالم بين النوسطالجيا والطموح.

لكن، يوماً بعد يوم، ما أراه حواليّ يُحمّلني واجبات جديدة، مسؤوليات جديدة تجاه حِسِّي الأخلاقي [-] التي في كل خطوة تكتب الأهاجي، تنبثق دائماً منّي غاضبةً، مع كل خطوة يخونني التعبير. مع كل خطوة تضعف الإرادة. مع كل خطوة أشعر بالزمن يتقدم عليّ. مع كل خطوة أكتشفني بيدين خامدتين ونظرة حزينة حاملاً معي إلى الأرض الباردة روحاً لم تعرف الغناء، وقَلْباً قد تعفّن، قَلْباً تجمَّد ومات نهائياً وبلا جدوى.

حتى البكاء لا أعرفه. كيف لي أن أبكي، أن أرغب في القدرة على الرغبة في العمل، العمل بكيفية محمومة لأجل عظمة هذا الوطن الذي لا تعرفونه. كم هو عظيم إحساسي حينما أفكّر فيه. لا أفعل شيئاً لا شيء. لا أجرؤ حتى على القول : أحب الوطن، أحب الإنسانية. ذلك سيبدو لي ضرباً من «كلبية* عليا». أشعر بخجل حتّى من قَوْله لنفسي ذاتها. هنا فقط أَتْرُك برهاناً عَلَى الورق وبخجل أيضاً حتى يبقى مكتوباً في جهة ما. أجل، يبقى مكتوباً هنا أنني أحبُّ الوطن العميق [-]، بألم.

لَقَدْ قلته بهذا الشكل، باقتضاب حتى يبقى مقولاً لا أكثر.

كفَى كلاماً. الأشْياء التي تُحَبُّ والمشاعر التي تُداعبها تُحْفَظُ في خزانة القَلْب بمفتاح ما نُسمِّيه خَجَلاً. البلاغة تنتهكها. الفنُّ إذْ يُعبِّر عنها يَجعَلُها صغيرةً حقيرة. حتى النظرة لا ينبغي أن تكشفها.

تعرفون، بلا شك، أن الحب الأكبر ليس ذلك الذي تُعبِّر عنه الكلمات الحلوة بنقاء ولا ذلك الذي تعربُ عنه النظرة ولا ذلك الذي تقوله يد محتكَّة

* الفلسفة الكلبية وهي المعارضة للفلسفة الرواقية.

بنعومة بيد أخرى. بل هو ذاك الذي عندما يلتقي كائنان بدون أن يتبادلا النظر ولا اللمس يَلُفُّهما، كما لو في غيمة، الـ[-]، ذلك الحب لا يمكن التعبير عنه ولا إظهاره. لا يمكن الكلام عنه.

كان للبحَّارة القُدامَى عبارةٌ مجيدة تقول : «الإبحار ضروري. العيش ليس ضروريا». إنَّ جَوْهَر هذه الجملة صالح بالنسبة إليَّ، بتحويل محدَّد لها كي تتناسب مع ما أنا إياه : العيش ليس ضرورياً. الإبداع هو الضروري. لا أعتدُّ بالتمتُّع بحياتي، ولا أفكر في ذلك. أريد فحسب أنْ أجعل منها تجربةً كبيرةً رغم أنني لأجل ذلك عليَّ أن أقدِّم جسدي و[-] حطباً لتلك النار.

أريدُ فحسب إحاطتها بالإنسانية كلِّها، وإن كان عليَّ لأجل ذلك أن أفقدها باعتبارها حياتي.

كل يوم أزداد اقتناعاً بهذا، كلَّ يوم ينمو فيَّ الكُنْهُ النفساني لِدَمي، الغاية اللَّاشخصية لتعظيم الوطن والمساهمة في تطور الإنسانية.

هذا هو الشكلُ الذي يتّخذه التصوُّف [-] لِسُلَالتنا.

إلَاهي أنت يا مَن هو السماء والأرض، الحياة والموت. أنت الشمس والأرض. والريح أنت. أجسامنا وأرواحنا وحُبُّنا أيضاً أنت. أين تَسكن، أين يوجد الكُلُّ أين معبدك. هَبْني حياةً لأخدمك وروحا لأحبك. هبني بَصَراً لأراك دائما في السَّماء وفي الأرض، سمعاً لأصغي إليك في الريح وفي البحر، يَدَيْن لأعمل باسْمك.

اِجْعلني صافياً كالماء وعاليا كالسماء، أبْعِد الوحل عن طرق تفكيري، والأوراق الميتة عن بحيرات غاياتي. أجِزْ لي أن أحِبَّ الغَيْرَ كإخوةٍ لي وسأخدمك كما أخدم أباً. سأكون جديراً بك في دخيلتي.

ليكن اسْمُك مباركاً سماءً وأرْضاً، جِسماً روحاً، موتاً وحياةً، لِيَدمْ حَمدي ومديحي إياك فماً ويدَيْن.

لِتَكُن حياتي جديرةً بمثولك، ليكن جسدي جديراً بالأرض، لِتَكُن روحي قادرة على الظهور أمامك مثل ابْن يَعُود إلى البيت.

اجعلني كبيراً كالشمس كيما أَعْبُدك بداخلي؛ اجعلني جلياً كالنهار كي

أراك وأعبدك بداخلي.

إلاهي، احْمني وقِني. اجْعَلني أشعر بي مِنْك ولك.

إلاهي، حرِّرني مِنِّي، دَهِّنِّي ب [-] الإلاهية. وليكن بُستَانُ تُفَّاحي لذيذَ الثمار لأجلك. ولتمنح كرومي خمراً. أنت الذي يتحرَّك، عندما أتحرك وعندما أتكلم يكون المتكلّم أنت. وعندما أخطو فأنت من يتقدم. فإذا توقّفْتُ خَرجْتَ من ذاتي.

1912

أنا ظِلُّ نفسي ذاتها، أبحث عن الظلّ.

أحيانا أتوقّف عند حافَّة نفسي وأتساءل ما إذا كُنْتُ مجنوناً أَوْ أنني سِرٌّ مُوغلٌ في السِّريّة.

يوميات 1913

السبت 15 / 02 / 1913

من الثانية عشرة والنصف حتى الثانية والنصف في منزل بُوتْسِي لياو. تحدَّثنا عن سا ـ كارْنيرو خصوصاً. قَرَأ عليَّ بعض رسائله المقتضبة والمؤلمة. وتَركها لي لقراءتها. تحدَّثنا عَنْ عَمَلٍ له (أي لِبُونسي) عنوانه «الضِّمادة» على وشك الانتهاء منه. قال لي إنّه ليس مُتّفقاً مع Renascença وأنه شديد الإعجاب بسا ـ كرنيرو. «لكن بالطبع، من لا يُعجِبه حضرتك ؟». بزغ شعاع شمس. مِن هناك ذهبتُ إلى «مكتب مايير» وبعدئذ ذهبت لاستلام شهادة زواج ماريو، في المقاطعة 3. ثم ذهبتُ مرتين إلى «مكتب لابادو»، لكِن لم أجد أحداً هناك في المرتين كلتيهما. لم أفعل شيئاً هناك. أَنْهَيْتُ الرسالة المُوجَّهة إلى سا ـ كارنيرو بتاريخ يوم 8 ورسالة أخرى إلى أمّي بنفس التاريخ، رسالة مسهبة ومريرة، عليَّ أَنْ أحتفظ بنسخةٍ منها. إلى سا ـ كارنيرو بعَثْتُ قصيدتين : «ذراع بلا جسد»، و«صوتُ الله». ذهبت لاستشارة خايمي. يَسْتَحِيلُ عَمَل الكمبيالة بكفالة، كما اقترحتُ في رِسَالتي. تكلَّمنا عن حالة م. ف، والغياب الواضح للوازع الأخلاقي لدى كُلِّ مَنِ رَبَطَتْهُم علاقةٌ به. خايمي أعطاني هذه المفكّرة. في الليل كُنْتُ مع كورادو وجواو دي أولبيرا اللذين قَدَّمت نفسي إليهما. المُحادثة كانت مهمة. في مقهى «لابرازليرا» قرأتُ مع كورادو، «مَلْهَاة مَنْ ضاجع امْرَأة ميِّتة» لـ أناطول فرانس. أعمال قليلة قمت بها. لكنها مهمّة. وصلتُ إلى المنزل

حوالي الثانية ليلاً، بعدما رافَقْت كورادو إلى منزله. عَلى الفراش لم أقرأ إلا قليلاً. تَصفّحت إمرسون، بدون أن أقرأه. مازلتُ قَلِقاً بسبب 5000 ريال المقترضة من صُوصا، والـ 5000 ريال التي عليَّ أَنْ أُؤدِّيها لـ مايير قبل الـ 20 من الشهر بسبب اسْتحالة سفري الآن إلى AL GARVE.

دَوَّنتُ بعض الملاحظات لكن لم أكتب شيئاً، وضَعْتُ تصوراً، مع ذلك، لكوميديا مُرْعبة. وَضعتُ خطاطة جزء منها بعنوان : «غَابَةَ صَنَوْبر الملك...»

الأحد 16 / 02 / 1913

قَبْل الغَذاء (الثانية عشرة والنصف) قمت بجولة عديمة الجدوى تماماً. متأملا وعقيماً ضائعاً في أحلامي. بعدئذ ذهبت إلى مكتب مايير. مَررتُ بـ «لابرازيليرا» وبقيتُ هناك في حديث مع إليديو بِيرْفِيتُو. عَرض عليَّ وظيفة في الصحيفة التي كان بصدد إصدارها؛ لَمْ أَرْفُض العَرْض وَلَمْ أقبَلْه. في «مكتب مايير» : من الثالثة والنصف حتى السادسة والربع أو السادسة والنصف. نَسَخْت جزءاً من الرسالة الموجهة إلى «ناطال»*. بسبب تعطُّل الآلة الكاتبة. كتبت جزءاً من «ماركوس ألبيس» وَمِن «جامع طوابع البريد». وَضَعْت تصوُّرا متكاملاً لشخْصيّة «ماركوس ألبيس». أنهيتُ «جامع طوابع البريد». أنجَزْت التصوُّر أثناء جولة قصيرة حتى «الروسيو» حيث وزعتُ إقامتي في المكتب. فرنسيسكو كان مَوجوداً هناك من الخامسة والنصف إلى السادسة. في الليل، بعد عودتي إلى المنزل، استسلمت لقيلولةٍ بعد العشاء. فقط بعض الأفكار المبهمة لأجل الاستدلالات.

---

* يقصد مكتبي الأخوين لابادو. ثم مكتب مايير وهي المكاتب الثلاثة التي عمل بها بفضل معرفته بالإنجليزية والفرنسية كان عمله منحصرا في كتابة المراسلات للمكاتب التجارية باعتباره كما يصف نفسه مراسلا أجنبيا، في وقت كان فيه ميناء لشبونة قد استرد قسما من نشاطه الذي جعله واحدا من أهم الموانئ في أروبا في ذلك الوقت.

* مستعمرة إنجليزية هي اليوم إقليم واقع في جنوب إفريقيا فيه توجد مدينة دوربان حيث كانت تعيش أم الشاعر وباقي أعضاء أسرته.

الاثنين 17 / 02 / 1913

لم أنجز سوى القليل من المهام في النهار. لكنني نَسَخْتُ جزءاً من الرسالة غير المكتملة الموجَّهة إلى «ناطال»... ذهبت إلى المكتب الجديد لـ لابادو، في شارع «دابراطا». وكتبتُ بعض الخواطر المسلِّية حتى السادسة. قبل ذلك استهلكت النهار اللامجدي متجوِّلاً عبر المدينة ثم ذهبت إلى وزارة الدفاع لأجل مسألة تخصُّ مايير. بَعْد العشاء قَصَدْتُ «لابرازيليرا» مَكَثْتُ من التاسعة والنصف إلى الثانية عشرة. تحدثت في البداية مع بارّاداس حَوْل شؤون لا أهمية لها. حكينا بعض الأمور عن الدكتور ناباس. بعدئذ مع أنايوري. كان حديثي قصيراً جدّاً لأنَّه كان مشغولاً بالقراءة. تناقشنا قليلاً عن برينستاين، واتخذ هو موقف دفاع متحمِّس. فيما بعد كَلَّمْتُ ألفونصو غايو، الذي كان ينوي السفر إلى مدريد لإقناع روصاريو بينو بإخراج مسرحية «المجهول» بالإسبانية حينما يأتي إلى هنا. لم تراودني سوى القليل من الأفكار والاستدلالات؛ فقط بعض النقط الثانوية عن «ماركوس ألبيس». بعد عودتي إلى المنزل خطَّطْتُ ليلاً لقصيدتين بالإنجليزية.

الثلاثاء 18 / 02 / 1913

تَنَاوَلْتُ الغَذاء باكراً (في العاشرة) ثم خرجت مسرعاً إلى الشارع. مِن الحلّاق إلى «مكتب مايير» ومنه إلى وزارة الدفاع فترسانة المعسكر. ومع هذا كله فُزْت بجولة ممتعة، في جَوٍّ مُشْمسٍ وبارد. بعدئذ ذهبت إلى مكتب جواو كورِّيا دي أوليفيرا طالباً منه مبلغ 5000 ريال لأُرجع منها 1500 لـ مايير متعلقة ببعض المصاريف الصغيرة. في «الشيادو» التقيتُ بخوصي فيغييردو. تحادثنا لوقت قصير عن فاغنر وبعده عن باليريو دي رَخَانْطُو.

مرَّ بنا خوصي كورِّيا دي أوليفيرا وقال لي إنه ذاهب إلى «لابرازيليرا». ذهبت إلى هناك فوجدته مع أوغسطو سانتا ـ ريتا. انتقدْتُ «المجنون» و«موت باسكويس» بأخوية من جهتي، وبدون تعليق تقريباً من جانبه. تكلَّمنا عن مخطّطي لمجلة «لوسيتانيا» وكان مكتملاً، فعبَّر عن إعجابه به واعداً إياي بمراسلة ناشر في «أوبورطو». نَزَلْتُ إلى مكتبة «فيرِّيرا» مع سانتا ـ ريتا. أطلعني على رسالةٍ إلى

الممثلة الجديدة إستير دوربال. ستنشر ـ يبدو ـ مع أعياد السنة... بقيتُ في مكتب رُوَادا براطا من الثالثة والنصف حتى الرابعة والربع؛ والحصيلة: رسالتان. انتقَلْتُ إلى «مكتب ماير». أرْسلت رسالة إلى لابادو طالباً منه 1000 ريال. واصلت نَسْخ الرسالة إلى «ناطال».

في الليل دخلت إلى «لابرازيليرا» وخرجت منها مع كُوسْطا، وبصحبته عُدْت مَشْياً إلى المنزل. وَضَعْتُ خُطاطةً لِكُتَيِّب عن أوسكار وايلد، وقسماً من «نظرية الأرستقراطية». تَلَقَّيْتُ مُلَاحظةً مِنَ الخالة لِيْسْبيلا وكتاب «المجنون والموت» لـباسكويس في بريد الصباح.

الأربعاء 19 / 02 / 1913

عملياً يوم فارغ. في «مكتب لابادو» «شارع دابراتا». استلمت مبلغ 1000 ريال. التقيتُ بـ بوابيدا* وَمَعه ذهبت إلى مكتب تحرير مجلته الجديدة: «مسرح» تحدَّثْنا عَنْ أهداف المجلَّة وجَدْواها. رُبَّما أنْشُر فيها نَقْداً لم أحدِّد موضوعه بعد عن «بارتولومي بَحَّاراً» لـ لوبيزفيرا. ما تبقَّى مِن اليوم أهْدَرته بلا رغبات ولا حوافز. في الليل قضيت بعض الوقت في «لابرازيليرا»، متحدِّثا لمجرَّد الحديث مع بارَّداس وَأناهُوري الأكثر شباباً. أتى كُوبيْرا وكستانيي الذي خَرَجْتُ معه قاصداً «مكتب مَاير» لِأُرِيَهُ اللوحات المطبوعة لِرفاييل بورادو بينهيرو. كستانيي قال إنها ذات قيمة بلا شك واتَّفقا على العودة في اليوم الموالي لِيَطلع عليها. ذهبت مع كستانيي حتى «مارتينهو»، تحدَّثنا للحظات مع لاسيردا. عُدْت إلى المنزل. دَوَّنْت مُلاحظات حول الصيغة التي ينبغي أن تأخذها رسالتي إلى الوزير الإنجليزي.

* ت. بوبيدا شاعر من جيل بِّيسوا: مُحرِّك تحقيق مثير للجدل حول وضع الآداب البرتغالية نُشر في جريدة الجمهورية عام 1912 واستأثر باهتمام بْسوا الشاب الذي كان هذا الجدل سَبَب أوّل ظهور عمومي له في الصحافة. وفيه دافع عن النزعة «السّوداديّة» (النوسطالجوية) وعن «كامويس الأعلى» في مقالاته المنشورة في مجلة «النَّسْر» A Aguia.

الخميس 20 / 02 / 1913

استيقظتُ باكراً. توجَّهت إلى مكتب مايير في العاشرة. بَعْدَما أمضيت بعض الوقت مع كونها دياز في «لابرازيليرا روسيو» حيث حَدثني عن محاضرته المقبلة. في المكتب واصلت كتابة هذه المذكرة حتى الحادية عشرة والربع. عُدْتُ إلى المنزل للغذاء. وفي الثانية عشرة والربع توجَّهت إلى المقاطعة 3 لأداء مبلغ 100 ريال المستحق عليَّ. مع عودتي التقيتُ بـ فورتوناتو دي فونسيكا، وذهبنا إلى «لابرازيليرا»، لمناقشة بعض القضايا الأدبية. بالنسبة إليه جوانكيرو يُعَدُّ كاتباً كبيراً، وليس شاعراً كبيراً؛ أفضَلُ ما فيه هو الجانب التّهكُّمي، هذا بالإضافة إلى أمور هامة أخرى ناقشناها. مَرَّ بنا في «لابرازيليرا» كاستانيي. أتَينا إلى «مكتب مايير» ليأخذ معه اللوحات المطبوعة. بينما أنهيت أنا الرسالة الموجَّهة إلى «ناطال». لَمّا شاهد كاستانيي اللوحات مطبوعةً صرَّح بأنَّ قيمتها تساوي حوالي ستة آلاف ريال لكل واحدة منها. المشتري المحتمل هو كْرُوس أندرالي من «أمِيكْسُويْرا». في الخامسة كنت في «مكتب لابادو»؛ لم يكن ثمة ما يمكن القيام به. قضيت الليل كله في المنزل. نمت بعد العشاء مباشرة. من الثانية إلى الرابعة صباحاً بقيت مستيقظاً أكتب مقاطع مختلفة عن أوسكار وايلد، عن التربية، عن النظرية الأرستقراطية. قرأت و. و. جاكوب حتَّى اسْتَسْلَمتُ للنوم معوِّضاً بذلك انقيادي لهيجان التفكير.

الجمعة 21 / 02 / 1913

استيقظتُ في العاشرة. جئت إلى مكتب شارع «دابراطا» في الساعة الواحدة. هناك وَجَدْت لابادو وص. فرانكو. تَابعْت طريقي نَحْو «لابَرازيليرا دي شيادو». تحدثت إلى خوصي كورّيادي أوليفيرا حول باسكاوس. لحظات في «مكتب مايير» بدون فِعْل شيء عدا التدخين وكتابة بعض الأبيات من «غالياز». أمضيتُ الليلْ كُلَّه في تحرير مجلة «مَسْرح»* في محادثة مع بوابيدا

* مجلة مسرح : أسَّسَها بوابيدا المشار إليه، لمهاجمة مَسْرح الفُرجة وسعى إلى أن تكون «المجلة» منبراً للدفاع عن فن مسرح إبداعي ذي حمولة رمزية، وهو الذي ساهم فيهيّيسوا بمسرحيته «البحّار».

وإدواردو فريتاس الذي حَرَّضَني على كتابة هجوم ضد «بارتولومي بحاراً» للوبيز فييرا. بين التَّحريض والرغبة في تجنُّب الهجوم جلستُ إلى المكتب من الخامسة إلّا ربعاً حتى السادسة والربع وأنْهَيْتُ كتابة المقال الذي أُعجب به بوابيدا أيّما إعجاب. عُدْت متأخراً إلى البيت. في الليل عُدْتُ إلى «لابرازيليرا». حديث طويل مع كورادو بينتو القارئ النهم الواسع الاطلاع، حتَّى الحادية عشرة تقريباً. رجعت إلى المنزل حوالي الثانية عشرة إلّا رُبْعاً. ثرثرة مع رَاوُول كوسطا. نِمْتُ في ساعة متأخِّرة. كنت قلقاً وأنا أقرأ و. و. جاكوب مُفكّراً في أمْرٍ قاله عَرَضاً عَنِّي إنريكي روصا وحكاه لي كورادو. لم أدوِّن تقريباً أيّ ملاحظات حَوّل أيٍّ من القضايا التي تشغلني.

السبت 22 / 02 / 1913

أفقت باكراً وبسرعة توجَّهْت إلى المطبعة لمراجعة مقالي عن «بارتلومي بَحَّاراً». أمضيت هناك النهار كله تقريباً باستثناء فترات قصيرة قضيتها في مَكْتَبي مايير ولابادو (رسالة واحدة). بقيت في المطبعة حتَّى السابعة مساء. عُدْت إلى المنزل للعشاء. عَوْدة مجدّدة إلى المطبعة، تَابَعْت بداية طباعة المجلة. كان عَلَيْهم أنْ يقتطعوا بعضاً من مقالتي. أحزنني ذلك وقلتُ أن ذلك معقول وألّا خَيْرَ في الأمر لأن ذلك ما بَدَا لي. في «لابرازيليرا» لبعض الوقت. محادثة مع فورتوناتو دَي فونسيكا، أناهوري، وكورادو الذي أعاد عليَّ، لا أدري بِمَحْضِ المصادفة، جُمْلة رُوصا التي ذكرها لي أمس. مَكثت في «لابرازيليرا» حتَّى الواحدة ليلاً. غَضِبْتُ قليلاً من الداخل، من كارلوس دي صوصا، المُدَلِّك، الذي لا أعرفه معرفة شخصيّة لأنه أبْدى احْتقاره كبرتغالي، لِلَافتة الرابطة البحرية للدفاع الوطني. تخطيط إجمالي لكلّ ما يجب على النهضة البرتغالية أن تحارب من أجله للمضي إلى الأمام.

الأحد 23 / 02 / 1913

قضيتُ النهار بتمامه في «مكتب مَايير»، تارة أكتب، وتارة أتجول في الشوارع المجاورة. قبل ذلك كنتُ بِبَاب «لابرازليرا»، أكَلِّم فُورْتُونَاتو دَي

فونسيكا : الرجل المُهم، دائماً كما عرفته. عدت بعد التجوال إلى المنزل متأخراً قليلاً كتبتُ بعض المقاطع من «ماركوس ألبيس»؛ بَعْض التناقضات الصُّغرى.
تَلَقَّيتُ صورة بريدية من سا ـ كارنيرو
العدد الأخير من «مسرح» لم يظهر بَعْد.

الاثنين 24 / 02 / 1913

في النهار. انتقَلْتُ مِنْ «مكتب لابادو»، إلى «مكتب مايير»، ومنه إلى «لابرازليرا». التقيتُ بكورتيس رودريغيز. طلبت مِنْه قصيدة قَرَأها عليَّ للنشر في مجلة A Aguia. في الليل ذهبت إلى «مكتب لابادو» حيث اشتغلتُ حتّى الحادية عشرة والنصف. العودة إلى المنزل. كتبتُ بضع ملاحظات صُغرى. أرْسلت الرسالة إلى «ناطال» (مؤرخة بيوم 12) في هيأة تحرير «مسرح»، قال لي فريتَاس أن الأمر لا يمكن أن يستمر على هذا النحو، وأن بوابيدا كان متفائلاً زيادة على اللزوم واستعمل عبارة «كان في السحاب» لَمَّا كان يُدير ذلك، إلخ...

الثلاثاء 25 / 02 / 1913

قَصَدت وسط المدينة في الحادية عشرة والنصف. تلقَّيْتُ مَالاً من خَالَتي ريتا عَبْر بنك البرتغال. في «لابرازيليرا» تحدَّثت قليلاً مع كوليهو. بعدئذ «مكتب مايير» كتبتُ رسائل إلى أمّي ثم أرسلتها إليها (بتاريخ 19). أرسلت إلى ألبارو بينتو أشعاراً لـ كورتيس رودريغيز ورسالة إلى سا ـ كارنيرو الذي وَصَلتني منه اليوم بِضْعُ ملاحظات (وإن كانت الرسالة لا تجيبُ على تلك الملاحظات بل على ملاحظة أخرى جاءتني منه قَبْل يوم أمس وتحمل تاريخ 24). منذ الصباح وطوال النهار وَاتَتْني أفكار عديدة بخصوص التّعارضات. في «لابرازيليرا»، في الليل، حَديث مع الملازم الأوّل ماركيز. غادرت المقهى قاصداً منزل كورادو. الحديث معه امتدَّ حتى الواحدة والنصف. تكلَّمنا في أمور كثيرة قليلة الأهمية. وَصفَ لي وضع التشتُّت الروحي الذي يُعَانيه.

الأربعاء 26 / 02 / 1913

قراءة الجريدة في الصباح أثارت لديَّ الكثير مِن التَّناقضات المختلفة. لم أغادر المنزل حتى الثانية عشرة والربع، بسبب غَزارة المطر. في «لابرازليرا» : مع كُوليهو والآخر، روشا،... ثم إلى «مكتب ماير»؛ بعدئذ حديث مُسْهَب مديد مع أنطونيو فيرُّو. في «رُوَا دي أورو». إلى «مكتب لابادو». لاشيء. في الصباح وَصَلَتْني رسالة من «ناطال» كَانَ يجب أن تَصِلَ السَّبتْ الفارط. في الصباح قرَّرتُ أن أكتب «معبد يانو» بالبرتغالية. وبالإنجليزية حصراً، مسألة جدالية ومثلها : حول أوسكار وايلد، «الدفاع عن الجمهورية البرتغالية»، إلخ... في الليل، في «لابرازيليرا» العديد من الأفكار المتناقضة.

الخميس 27 / 02 / 1913

في النهار لم يكن لديَّ ما أقُوم به في مَكْتَبي لابادو وماير. في «لابرازليرا» مع غايو الذي حَدَّثني عن مَسْرحيتين مِن تأليفه. الموضوع نفسه معالجاً بطريقة مختلفة. في وقت متأخر ذهبت إلى هيأة تحرير «مسرح». قَدَّمَني بوابيدا إلى فيتوريانو براغا. كنت متضايقاً قليلاً لوجود امرأة هناك رغم أنها كانت جالسة برصانة أمام المدفأة جنب رَ. سانتوس أظنّ أنّني لم أظْهر انزعاجي. ذهبت مع ألمادا نيغريروس إلى مَرْسمه لِأشاهد بعض أعْمَاله المعدَّة للمعرض؛ بَدَتْ لي ممتازة جدّاً. كذلك كان هناك في الوقت نفسه كاستانيي، لَاسِيْردا، جُويس، ابن عَمّ أنطونيو جويس، وشابٌّ لا أعرفه. وَصَلْتُ إلى المنزل بَعْدَ منتصف الليل بقليل.

الأحد 02 / 03 / 1913

وَصَلْت إلى «بَايكْسا» في الثانية زوالاً بقصد العمل في «مكتب ماير». لكنني ذهبتُ قبل ذلك إلى «لابرازيليرا» وَهُناك عاينت مَشْهد نزاع لَفْظي شديد الوقاحة بين جْوآوْ كوّريرا دي أوليفيرا وألفريدو غيماريس. بعدئذ مكثتُ في تحرير «مسرح» حتى الخامسة والنصف. بوابيدا كان هناك، ثم أتي فيتوريانو

براغا وألمادا نيغريروس. ذهبت إلى «مكتب مايير». كتبتُ بداية رسالة إلى باسكويس. في الليل نِمْتُ بَعْد العَشَاء بقليل. قرأت قليلاً بعد إفاقتي في الليل. لَمْ تخطر ببالي ولا فكرة واحدة. النهار كان ربيعياً تماماً.

الاثنين 03 / 03 / 1913

إلى الـ «بايكسا» في الحادية عشرة في «مكتب مايير»، حيث ظَلِلتُ شِبْهَ ـ مشتغل حتى الواحدة (البَريد جاءني ببطاقة بريدية من سا ـ كارنيرو). بعد قليل من التسكُّع ذاهباً آيباً إلى «مكتب مايير» قَصَدْتُ «مكتب لابادو» حَيْث وَجَدْتُ مع الرسائل التي كان عليَّ أن أكتُبَها رسالةً موجَهة إليَّ، فَوَضعتها في أرشيفي. خطرت لي قصيدة عن «القبطان سكوت». أَعْدَدت القسم الرئيسي ومعه الاستهلال الذي عليَّ أنْ أغيِّره، لأن الأمر كما تبدَّى لي يتعلَّق برجال مَاتُوا غَرَقاً. عَرَّجْتُ أيضاً على مكتب تحرير «مسرح»، حيث سَلَّموني «دِنان العشّاق»، كأساس لمقالي المقبل عن صوصا بينتو. زملاء عديدون امْتدَحُوا مقالي مَرَّاتٍ عديدة طوال اليوم : راوول كارنيرو، مَارتينو فونسيكا، بَرَّاداس، ثم نونو دي أوليفيرا (في الليل) وإليديو بيرفيتو. الليل في «لابرازيليرا» مع كورادو. عُدْت برفقته إلى المنزل الذي لَمَّا دَخلته للعشاء وَجَدْتُ رسالة من كويسطا (الذي التقيته مِن بعد في «لابرازيليرا») ثم مَلْحوظة فظَّة من ألْبارُو بينتو.

الثلاثاء 04 / 03 / 1913

في «مكتب مايير» في منطقة «اليايكسا»، حوالي العاشرة صباحاً بقيتُ حتى الحادية عشرة والنصف مُجيباً على ملحوظة ألبارو بينتو ومحوّلاً رسالةً خَطِّيّة إلى الآلة الكاتبة. لدى عودتي إلى البيت للغذاء هيَّأْتُ رسائل وهدايا عديدة إلى دونيا باميرا والخالة أنيكا. ذهبت إلى «لابرازيليرا» حيث تبادلتُ الحديث مع كارلوس فيرّيرا وخرجت مِن هناك برفقته.

عُدْت إلى «مكتب مايير». أمضيت بعض الوقت في كتابة رسالة إلى «فيلا ماورا» وبطاقة بريدية إلى ماريو بيرايو. ذهبتُ إلى «مكتب لَابَادُو» : كتبت رسالة

إضافية. مَرَرتُ بمكتب تحرير «مسرح» ـ لِدقائق معدودة. ـ حَمَلت لهم نسخة من A Àguia لوجود صورة صُوصَا بينتو بها. ذهبتُ إلى منزل إنْريكي روصا لأرى إن كانت لديه وَصْفةٌ للأذن المسدودة كان قد تركها لي هناك فلم أجدها. تكلَّمنا قليلاً. عُدت إلى البيت. قبل العشاء بَدأتُ كتابة رسالة إلى سا- كارنيرو. ذَهَبْتُ إلى «مكتب مايير»، حيث كَتَبتُ أوراقاً حملتها في المحفظة مِنْ مَوْضِع إلى آخر.

الأربعاء 05 / 03 / 1913

معظم اليوم في «مكتب لابادو». بضع دقائق في «مكتب مايير». ذهبت إلى مكتب «خوصي صوصا» لأطلب منه «وحدي»* ـ سَلَّمه إليَّ في «لابرازليرا» ليلاً. أخَذْتُه إلى «مكتبة فيرِّيرا». أجريتُ بعض التعديلات إلخ...

في «لابرازيليرا» ليلاً قدّمني أنَاهُوري إلى أنطونيو أرُّويو، شخص مهم؛ محدود في أمور معينة. عُدت متأخراً إلى المنزل.

الخميس 06 / 03 / 1913

توصَّلْتُ في الصباح بـ «حياة برتغالية» وبمسوَّدات سونيتات كورتيس رودريغيز المرسلة مِن Renesança قَصَدْت «البَايْكسا» في الحادية عشرة والنصفّ، اشتريت «وَحْدي» بألف وخمسمئة ريال في «مكتبة فيرِّيرا». ذهبت مَرَّتين إلى «مكتب مايير» ومرتين إلى «مكتب لابادو». كَتَبتُ رسالتين بَيْن بَيْن. كتبت مقالاً عن صوصا بنتو. ذهبت إلى «لابرازيليرا» مَرَّتين : قرأت المقال على إليديو بِيرْفيتو. قَرَأ عليَّ س. أمارُو مقطعاً سَيَكْتُبه لـ «معركة» جعلني أُنصتِ إليه، لا أكثر ولا أقل. أَلْفِريدو غيمارايس قرأ مَقَالي عن صُوصَا بينتو وَوَجدُه ظالماً. كتبتُ رسالة إلى كورتيس رودريغيز ورسالتين إلى ريبيلو. الكتابة الأدبية : لاشيء. إليديو بيرفِيتُو عَرَض عليَّ أنَّ أتولَّى كتابة النقد الأدبي في صَحِيفَته التي سَتَصْدُر في أبريل، فوافقتُ. في الليل في «لابرازليْرا» في حديث مع كُورَادو. بعدئذ في «لابرازيليرا دي روسيو» حيث اتصل الحديث بيني وبين كورتيس رودريغيز ولاسيردا. في المكتب قَبْل الذهاب إلى المنزل تلقَّيْت بطاقة من كسابيير بينتو.

* SO في البرتغالية ديوان شعري لأنطونيو نوبري.

الجمعة 07 / 03 / 1913

في «البَايْكَسا» تمام العاشرة صباحاً. في «مكتب مايير» أَجَبْتُ عَلَى مُذكّرة لإلبارو بينتو توصَّل بها في ساعة الصباح الأولى. وأرسلت إليه مُسوَّدات سونيتات كورتيس ـ رودريغيز. في النهار كتبت رسالة إلى كروث ماغَالاَيَاس؛ وإلى «الوطني» مُضَمّناً «الصِّيَغ الضَّبطية الكتابية». إلى سَا- كَارنيرو (بَعثْتُ الرسالة ومعها نسخة من العدد الأول من «مسرح») : قمت بمهام عديدة للخالة أنيكا. ذَهَبتُ إلى المطبعة ثلاث مَرَّات لمعاودة مراجعة المسودات، لكنها دائماً غير جاهزة. لَقِيتُ كوْنها دياس الذي أعطاني تذكرة دُخُول لمحاضرته. لِسُوء حظه المحاضرة ستلقى في نفس يوم تقديم الكونسرتو في مسرح الجمهورية. بقيتُ حائراً متردِّداً لا أعْرف أيَّهُما أحْضُر. تحدَّثْتُ إلى بوابيدا في الشارع. قرأ عليَّ مقالاً له سيظهر في العدد القادم من مسرح. أيضاً قبل أنْ أذهب للعشاء التقيتُ ريبيلو في «لابرازيليرا»؛ كَلَّمته في أَمْرَ لابادو. لَمْ أفكر وَلَمْ أنجز أي شيء أدبياً. في المساء وَصَلتْ رسالة «ناطال» ورسالة من مَارِيو بيرايو في 6 مارس مِنْ أنسيدي.

السبت 08 / 03 / 1913

وَصَلْتُ إلى «البايكسا» في الثانية عشرة. ذهبت أكثر مِنْ مرّة إلى المطبعة؛ في الثالثة وفي السابعة. اطَّلَعْتُ على مسوَّدات المقال؛ عَدَد «مسرح» لَنْ يصدر حتَّى الاثنين. في «مكتب لابادو» : توصَّلْتُ برسالة واحدة فقط. لم أكتب أيَّ رسالة ولم أدوِّن أيَّ ملاحظات فكرية. بَلَغني أنَّ كونها دياز أَزْجَا محاضرته يوم 9 في المسرح الوطني. في الليل في «لابرازيليرا» مع إيليديو بيرفيتو، ثم مع كوبيرا، برَّداس، وألمادا نيغريروس. عبارات عَرَضية ولا حتى معي (باستثناء عبارات معيّنة، احْتَملتها بشوشاً وهادئاً مِنْ ألمادا. بالرغم مِنْ أن كَاسْتانيي كان قد طلب منهم عدم التلفُّظ بِبَذاءاتٍ أمامي) تَنَاوَلت موضوع «مَازْكُوس ألبيس». في الصباح أَلحَّتْ عليّ الخالة أنيكا بشأن مسألة الوظيفة، بمناسبة إعلان في جريدة «قَرْن» عن هذا الموضوع. أَجَبْتُها بأنني سأجيب على العرض المقدم في الإعلان، وفي الليل تخلّيت عن فكرة الإجابة. في الثانية عشرة والربع ذَهَبْت إلى الحلاق لأُقَصَّ

شعري وأصنع لي لحية، ثم عُدْت إلى المنزل. تلقَّيْتُ في الصَّباح ـ رسالةً من «فيلا-مُورا»، وفي المساء ملاحظة من كروث مَغَالْهَايْس عن ماء «بارداو بينهيرو».

الأحد 09 / 03 / 1913

من البيت إلى «لابرازيليرا». بوابيدا أعطاني تَذكرة لكونسرتو في مسرح الجمهورية. في الكونسيرتو حتَّى السادسة. بَدَا لي أدنى مستوى من سنفونية فريتاس برانكو. وافقني على رأيي بوابيدا وكذلك كورتيس رودريغيز الذي رافقني إلى الكونسرتو. في «لابرازيليرا» قَرَأ عليَّ إوْجينيو فيرا بعض القصائد المقبولة فضلاً عن سونيتة جيِّدة. غرُوره عجيب لكنْ غَيْرُ مؤذٍ. بعد العشاء عدت إلى المنزل للنوم، لم أنجز أيَّ عمل أدبي طوال اليوم.

الاثنين 10 / 03 / 1913

في «البايكسا» حوالي منتصف النهار. مررت مَرَّتين بـ«مكتب مايير» ومرتين مثلها بـ«مكتب لابادو». حيث كلَّمتُ لابَادُو عن القضية*. يَبْدو أنَّها قد تنفع. ذهبتُ أيضا إلى مكتب تحرير «مسرح» للحديث مع فِريتاس. اشترى «أشْياء الماء» لماريا أماليا باز دي كاربالهو. إنه الكتاب الذي تجب مهاجمته هذا الأسبوع. عُدْتُ إلى كتابة الرسالة إلى باسكاويس. الليل في «لابرازيليرا». حَدِيث مع كورادو ومع فورتوناتو دي فونسيكا. عُدْتُ إلى المنزل مع كورادو تحدَّثت كثيراً مُقدِّماً قراءة سيكولوجية عن فورتاناتو. واقفني كورادو على التَّعريف الذي قدَّمته فيها عن فورتوناتو.

الثلاثاء 11 / 03 / 1913

يَوم حافل بالمهام. في «البَايْكسا» نفس الساعة كل يوم. انْشَغَلْتُ ببعض أمور ماريو. بمروري بـ «لابرازيليرا دي الروسيو» توقفت لفترة للحديث مع بيتُورينو براغا... بعدئذ التقيتُ بغارسيا بوليدو، وباستثناء فاصل زمني محدود

* لم يشر إليها من قبل.

(من السادسة والنصف إلى الثامنة) لم أجد فيه حتى ما يكفي من وقت للعشاء، استغرقنا في حديث طويل من الثانية إلى الحادية عشرة ليلاً. كُنَّا نتجوَّل ونتناقش ونقترح أشياء عجيبة. اتَّفَقْنا على وضع «لَعِبٌ نظيف» عنواناً لِنَشْرَتنا الهجائية، على أن تكون أسبوعيّة، إن أمكن، وأن نُصدر نحن معاً عَدَدين بالتناوب. بَدَا لنا أنَّنا نملك وجهة نظر مشتركة : كلانا جمهوريٌّ ضد الألفونصية وضد الاشتراكية.

في الصباح توصَّلت برسالة من سَا ـ كارنيرو. كتبت، في وقت متأخّر جدّاً، قصيدة أو قصيدتين.

الأربعاء 12 / 03 / 1913

إلى «مكتب لابادو» في العاشرة. هناك بقيت حتى الثانية ظهراً بعدئذ كَلّمت غارسيا بوليدو مودّعاً إياه. ما تبقّى من النهار لاشيء. في الصباح بطاقة من سا ـ كارنيرو.

الخميس 13 / 03 / 1913

يَوم ضائع بسبب فائض أخرس في الطاقة. «مكتب لابادو». رسالة في «مكتب مايير». بعدها ذهبت إلى «لابرازيليرا». لَمْ أَذْهَب للعشاء إلّا في منتصف الليل. رسالة إلى سا ـ كارنيرو في الصباح. رسالة إلى «ناطال» في الليل.

الجمعة 14 / 03 / 1913

نَزَلْت في التاسعة إلى «مكْتب مايير». بعده إلى «لابادو» حيث كَتَبْتُ رسالةً هُناك. في الليل مع كورادو في «لابرازيليرا». خرجنا معا متحدثين عن أشياء كثيرة خلال جولة طويلة حتى الجسر ثم العودة.

السبت 15 / 03 / 1913

في النهار ذهبت إلى منزل إنريكي روصا؛ بَعْدَئذ، بلقائي مع كُورْتيس رودريغيز أَنطْتُ به المهمة التي عليه أن يقوم بها لأجل إنريكي روصا والخالة أنيكا... اصْطَحَبْتُ معي ريبيلو إلى «مكتب لابادو»، وافق على أن يبقى هناك ويعود يوم الاثنين. تَحدَّثْتُ إلى الفونْصُو غاييو، في «لابرازيليرا»، ثم مَعَ جواو كورِّيا دي أوليبرا ورافقته إلى منزله لأستعيد «حياة أثيرية». بقيت حتى الثانية عشرة والنصف ليلاً؛ تبادلنا حديثاً طويلاً هاماً وحادّاً. أنشدْتهُ أشعاري. أعجَبَتْه كثيراً عَلَى ما بدا لي، فَاجَأهُ اكتشاف أنني شاعر.

الأحد 16 / 03 / 1913

في الصباح توصَّلت بمذكّرة من أنطونيو فيرُّو. خرجتُ من المنزل بعد الواحدة زوالاً بقليل. ذهبتُ إلى الكونسرتو؛ هُنالك كان لي حديث مع كورتيس ـ رودريغيز رفقة صِهر له قدَّمه إليَّ. في «لابرازيليرا» جمعني حديث مع إدواردو غْراسا. في الليل ذهبت إلى «لابرازيليرا». دَوَّنْت بعض الأفكار الأدبية.

الاثنين 17 / 03 / 1913

بَكَّرت إلى «البايكسا» لأكون في «مكتب لابادو» كي أساعد ريبيلو. لم أدعه يحتاج إلى شيء. (لا أتذكر ما تبقى من النهار). في الليل، وجدتُ ملاحظة من «إدارة لابادو» (مِنْ لَدُن أوغوستو فرانكو) يطلب فيها مِنِّي أَنْ أذهب في اليوم الموالي إلى المكتب في الساعة التاسعة، لأنَّ ريبيلُو خرج ولمْ يَعُد. بقيت في المنزل. في الليل بضع أفكار أدبية. أثناء النهار أحاديث مع العديد من المعارف.

الثلاثاء 18 / 03 / 1913

في «البايكسا»، في «مكتب لابادو» حتى منتصف النهار. بَعْدئذ كنت في أماكن شتَّى (لا أذكر جيّدا ما قمت به). لَمَّا ذهبت للعشاء في البيت، وجدتُ

رسالة من كروث ماغالهايس الذي ذهب يوم الاثنين إلى المكتب لرؤية اللوحات المطبوعة، كما وجدت كلمة من ريبيلو تُفسِّر الأمر. كنت قد كتبتُ خلال النهار إلى ريبلو وماغالهايس وإلى غارسيا بوليدو أيضاً، أطلب منهم أربع قصائد لـ بيسنها. بعض الخواطر الأدبية الصغيرة.

الأربعاء 19 / 03 / 1913

مبكراً في «البايكسا»، صحبة ماريو، ذهبنا معاً إلى مكتب عَدْل في «سيلبا» بصفتنا شَاهِدين على كِفاية... في مكتب «مسرح» قدَّمني بوابيدا بُرْتُغال إلى مانويل أنطونيو دي أليدا؛ تَلَوْتُ أشعاراً وأطلت في الكلام. بَدَا لي فقير الملاحظة ورجلا لطيفاً. إلى مَكْتَبي «لابادو» معاً؛ كتبتُ رسائل فيهما معاً. في «لابرازيليرا». محادثة مع تورّيس أبْريو وإيليديو بيرفيتو. في الصباح وصلتني بطاقةٌ من سا ـ كرنيرو، في الليل في المنزل. كتبت بطاقة إلى كروث ماغلاهايس. قليل من الأفكار...

الخميس 20 / 03 / 1913

في «البايكسا» حوالي الواحدة كنت في مكتبي الأخوين معاً واحداً بعد آخر. في شارع «أوغوستا» كان عليَّ أن أكتب رسالة في «مكتب مايير». كتبت رسالة كاملة تقريباً إلى سا ـ كارنيرو. ذهبتُ إلى معرض ألمادا نيغريروس وإلى مكتب تحرير «غرب» لمهمة طلبها منّي خوصي كورّيرا دا أوليبرا. يوم انهيار مطلق وميت. في المنزل ليلاً أكملت الرسالة إلى سا ـ كرنيرو. دَوّنت بعض الملاحظات الأدبية. توصّلت ليلاً برسالة الشركة الأهلية (جوابا على الحادث اللاأخلاقي الذي سَرَدْتُه) وبرسالة مِنْ ألبارو بينتو عن الاكتتاب لأجل غوميز ليال*.

* شاعر شاب من الجيل الطليعي الذي تزعمه بّيسوا تعرض بسبب هجومه على جبهة الطلبة المحافظين إلى حملة عنيفة من لدنهم استدعت نقله إلى مشفى الأمراض العصبية إثر إصابته بانهيار عصبي حاد مما استلزم من رفاقه القيام بحملة تضامن واكتتاب واسعة لدعمه.

الجمعة 21 / 03 / 1913

لأنني أمضيت أياماً عديدة بدون أنْ أراجع هذه اليوميات لا أتذكّر ما قمت به يوم الجمعة. أذكر فقط أنّني لم أذهب إلى مَكْتَبي «الأخوين لابادو» واقتصَرْتُ فقط على «مكتب مايير». أمضيت وقتاً طويلا في الكلام مع روي كوهيلو، وقد تحمَّس لإصغائي إليه وَهُو يصف كتابته الوطنية، هذه المرة.

الأحد 23 / 03 / 1913

النهار بكامله تقريباً في «مكتب مايير». كتبت القسم الأكبر من «سنفونية السُّفن الشراعية». دَوّنت بعض الخواطر. كتبت (بتاريخ 20) الرسالة إلى «ناطال». الليل في المنزل، أثناء تناول الشاي فجأة أحسستُ بأنني فقدت الوعي وأُغمي عليَّ أو كاد (في الخامسة إلا عشر دقائق وُلِدَتْ صغيرةُ مَارِيو).

الإثنين 24 / 03 / 1913

أمضيت اليوم في «البايكسا»، من الثانية زوالاً حتى الحادية عشرة ونصف ليلاً. في «مكتب لابادو» نهارا؛ ذهبت إلى هناك في العاشرة ولم أجده. ما بين الخامسة والثامنة ليلاً انهَمَكتُ في كتابة مقاطع من (Epithalamium) بالإنجليزية. بعدها إلى «لابرازيليرا» صحبة جواو كورّييا دي أولبيرا. عند عودتي، أخيراً، إلى «لابرازيليرا»، ذهبت للحديث مع جواو كورييرا دي أولبيرا مَرَّةً أخرى في منزله. تحادثنا حتى الحادية عشرة والنصف. كان هدفي من الزيارة هو أن أطلب منه خمسمئة ريال، لكن لم أجرؤ على ذلك، لأنّه رأى في زيارتي، منذ الوهلة الأولى، إشارة مجاملة بالغة اللطف.

تَعَشَّيت في مطعم «بّيسوا».

لدى عودتي من العشاء التقيت بربيلو الذي كنت أريد أن أكتب منذ مدّة مقالة لأجله. لن يحتاج إليها حتى بعد غد. في الصباح تلقَّيْت مذكّرة مِن ألبارو بيتنو.

أَجِدُ نفسي وَاهناً ومُتَعَثّياً، ومع ذلك في حَالٍ مِن الاهتياج الشعري.

الثلاثاء 25 / 03 / 1913

(مَرَّت أيّام عديدة بدون أن أُعِير أهميّة لهذه اليوميات). عن هذا اليوم لا أذكر شيئاً.

الأربعاء 26 / 03 / 1913

ما أتذكره عن هذا اليوم بالكَّد هو أنني قضيت النهار كُلَّه مع غارسيا بوليدو الذي الْتَقَى بي في «لابرازيليرا دي الشيادو».

كَلَّمته كثيراً. قرأت عليه (وعلى لاسيردا) «رجل الأحلام» في الـ«مارتينهو». من بعد في «لابرازيليرا» محادثاً إليديو برفيتو وَهُو مناصر لـكاستيلو برانكو، وقد قدَّمه إلي؛ بعدئذ التقيت بـأناهوري وجواو كورِّيرا دي أولبيرا. عدت إلى المنزل في الثانية عشرة والربع ليلاً. دَوَّنت بعض الخواطر الأدبية، المهمة أحياناً.

الخميس 27 / 03 / 1913

خَرَجتُ من المنزل بسرعة. الغذاء في مطعم «بّيسوا» بفضل سُلْفةٍ من جواو كورّيا دي أولبيرا. ذهبت بعدئذ لِلقاء غارسيا بُوليدو في «لابرازيليرا دي روسيو». وبسبب وصول بعض المُلَّاكِ أصبحت المحادثة بتناولها لقانون الضريبة* العقارية، مُحبِطة تَماماً. بعد خروجي من هناك مع بوليدو حَاولنا استعادة قوانا على نحو مؤلم لأجل المعركة. في «مكتب لابادو»، حرَّرْتُ رسالتين. ومنه إلى «لابرازيليرا» صحبة تُورِّيس أبريو. التحقت بـ«مكتب مايير»، ومكثت هناك بينما المطر يهطل بغزارة حتى السابعة والنصف. كتبت إلى الخالة ليسبيلا ـ لناطال (واضعاً تاريخ 25). ذهبت إلى المطبعة في محاولة لإنجاز قطعة للطبع في الآلة. خرجت من هناك في الثامنة والربع. وَحْده بوابيدا وفريقه ظلُّوا هناك. في المنزل ليلاً. نمت نومة واحدة مديدة من العاشرة حتى الصباح الموالي لكنها كانت استراحة حزينة. حافلة بالكوابيس، مؤلمة فيزيقياً.

---

* المساهمة.

الجمعة 28 / 03 / 1913

لم أدوِّن شيئاً، لتأخري ونسياني.

السبت 29 / 03 / 1913

لاشيء. يوم مثل سابقه.

الأحد 30 / 03 / 1913

في المنزل حتّى الثانية ظهراً. من الثانية والنصف حتى الرابعة والنصف في منزل أنطونيو فيرُّو، حيث تَلَا عليَّ عملين مسرحيين. مَعَه ذهبت إلى «البايكسا». توجَّهتُ إلى «لابرازيليرا»، كان لي حديث مع رَخَانْتُو، وبعده مع كويلهو الذي خرجت بصحبته لتناول العشاء.

وَعَدني بأن يحصل لي على مئة ألف ريال لأجل سفري إلى إنجلترا وثلاثين ألفاً لسفري إلى Algarve. بعدئذ (من الثامنة والنصف إلى التاسعة) ذهبتُ إلى «لابرازيليرا» ومكثت هناك حتى خروجي مع جواو كورِّيا دي أولبيرا إلى مَنْزله (بدون إغفالي تمضية نصف ساعة من الحديث مع أنطونيو غيمارايس) حتى الثانية عشرة والنصف. انصرفت بعدها إلى منزلي.

الإثنين 31 / 03 / 1913

في «البايكسا» حيث التقيت مع منتصف النهار بـ كويلهو بقيتُ معه، متجوِّلين في السيارة حتى السادسة مساء؛ لم أذهب إلى مكتبي «الأخوين لابادو». كويلهو أَقْرَضَني أَلْفَي ريال.

الثلاثاء 01 / 04 / 1913

ذهبت إلى «سان أنطونيو»... لأَسْتَرِدَّ المال لفائدة الخالة ريتا. اسْتَلَمْتُ خمسة آلاف ريال بالإضافة إلى ثلاثة آلاف لأجل باسكوا، وقرّرت عَدَم

تسليمهما معاً لعدم معرفة أحد بوصول المبلغَيْن. بعدئذٍ ذهبتُ إلى «مكتب لابادو»، حيث كتبتُ عَشْر رسائل، بَعْدَه إلى «مكتب ف. لابادو» فكتبت رِسالة واحدة. ومنه إلى «مكتب مايير» حيث كتبت أخرى. عدت إلى المنزل. في الليل ذهبت إلى «لابرازيليرا»، بقيتُ في منزل جواو كورّيا دي أوليبيرا حتى الثانية صباحاً. قَرَأتُ عليه «مرقوص» لـ سا ـ كارنيرو؛ كلانا لم يَرُقْه العمل كثيراً. ثم قرأ عليَّ هُوَ نَصّاً مُهماً.

في المساء بَدَا التَّوتُّر عاليا بين جواو كورييا دي أوليبيرا وأنطونيو كوبيرا.

الأربعاء 02 / 04 / 1913

مسرعاً وصلتُ إلى «البايكسا». في طريقي إلى «لابرازيليرا» لَقيتُ لُوسِيانُودا أَرُوخو الذي كان هناك فَقَدَّمني إلى ألبينو دي مينسيس وكورييا دياز اللذين كَانا حاضرين في معرض ألمادا نيغريروس. وهناك اسْتَلَمْتُ الدليلين الفنّيين اللذين وَعَدني بهما. مِنْ بعدُ ذهبت مع لوسيانو، تحت المطر إلى «تَرَسَانة المعسكر». أخبروني أنَّ عليَّ بالمجيء في اليوم التالي. عُدْتُ. ذهبت للغذاء في مطعم «بّيسوا». بعدئذ في «مكتب لابادو»، حيث كتبت بِضْع رسائل. عند خروجي التقيتُ بـ سانتا ريتا، فاتجهنا معاً إلى «لابرازيليرا» حيث جمعنا الحديث مع ألمادا نيغريروس (الصعلوك دائماً زيادة على اللزوم) ومع كَسْتانيي. أَتَيْتُ إلى «مكتب مايير». كتبت رسالة إلى «ناطال» مؤرخاً إياها بـ 01. 04. في الليل ذهبتُ إلى «لابرازيليرا» هناك قَدَّموني إلى فتى اِسْمُه أنطونيو ألبيس؛ وَجَدت بعدئذٍ هناك شاباً متبذلاً لا أعرفهُ، وضُون توماس دي أَلَيدا الذي لا أعرفه، إلا من بعيد، والذي تكلَّم بدون انقطاع؛ وهو على ظرف فاحش لكنه في النهاية، مُغيظٌ حدَّ الإيلام.

الخميس 03/ 04 / 1913

اسْتَلَمْتُ «الحياة البرتغالية» في بريد الصباح. غادرت المنزل في الثانية عشرة والنصف. تنقَّلْتُ بين المكاتب الثلاثة. ذهبت إلى النقابة الأدبية في الرابعة، رُفْقة

فاليريو وزوي كويلهو للاستماع إلى المحاضرة الأولى لـ «مسرح»، والتي لم تُلْقَ في النهاية. بعدئذ أَطَلْتُ التجوال حتى السادسة مع فاليريو وروى كويلهو الذي اقترح عليَّ أن يضع مُوسيقى مناسبة لقصيدتي : «أيتها السفن»، التي أَعْجَبَتْه كثيراً. بينما قصيدة «السُّدود» أزْعَبَتْه. في الليل نِمْتُ، بعد العشاء مباشرة تقريبا.

الجمعة 04/ 04 / 1913

تَوصَّلْتُ في الصباح برسالة من مَازيو دو ساكرنيرو. استغربتُ عدم توصُّلي برسالة Algarve ولا من بينتو. ذهبت إلى «تَرَسانة المعسكر» وكلَّمْتُ الرائد سانتوس. إلى «مكتب لابادو» لإعداد بعض المراسلات. لحظة قصيرة في مكتب تحرير «مسرح». في الليل في «لابرازيليرا». ثم في منزل جواو كورييا دي أوليبيرا حَيْث أفَضْنا في الحديث.

السبت 05 / 04 / 1913

في الصباح توصَّلتُ، بالإضافة إلى «ميركير دو فرانس» التي بعثها إليَّ سا ـ كارنيرو، برسالتين منْ بريتوريا مُرْعبتين إحْداهما من إنريكيتا*. قضيتُ النهار كُلَّه مُعذَّباً، مع قَلق فظيع بسبب هاتين الرسالتين. تعذيب مرعب، في زقاق روحي لا مخرج منه. ذهبتُ إلى المكاتب الثلاثة، كتبت بعض الرسائل في «مَكْتَبي لابادو»؛ مَهَمَّات عديدة كان علي القيام بها، ففعلتُ، رغم حيرتي وارتباكي طوال اليوم. في الليل عدتُ إلى البيت. نمتُ حوالي العاشرة. قرأتُ قليلاً على السرير. بعض الأفكار الأدبية، خاصة لأجل «ماركوس ألبيس». سَجَّلت ملاحظة تَخُصُّ ألبارو بينتو.

الأحد 06 / 04 / 1913

غادرتُ المنزل حوالي الواحدة والنصف، وَصَلْتُ، بعد مُروري بـ«لابرازيليرا»، إلى «مكتب مَايير». بقيت حتى التاسعة ليلاً محاولاً كتابة مقال

* أختيسوا المقيمة حينئذ في جنوب إفريقيا.

لمجلة *A Àguia، لكن لم أنجح في محاولتي. عدتُ إلى المنزل صحبة أ. ج كوسطا عُدتَ راكضاً لأنني لم أتناول عشائي. بعض الخواطر الأدبية.

الإثنين 07 / 04 / 1913

في الصباح وَصَلتني مذكّرة مِنْ ألبارو بينتو، أجَبْت عنها في الليل. تنقّلت بين مكاتب «الأخوين لابادو» و«مكتب مايير». ذهبت إلى «ترسانة المعسكر» للحديث (باسم مايير) مع الرّائد سانتوس. الليل في «لابرازيليرا».

الثلاثاء 08 / 04 / 1913

كتبتُ إلى ماريو بياريو، أتْمَمتُ الرسالة إلى «ناطال» (في الصباح تلقيتُ رسالة من بياريو). أرسلت المقال إلى A Àguia بعد إنهائه طبعاً. تحدثت إلى أشخاص عديدين طوال اليوم (خاصة مع باليريو) ذهبت إلى «مكتبي لابادو» و«مكتب مايير». في «لابرازيليرا» ليلاً. مع كورادو حيث رافَقْتهُ إلى بيته. تحادثنا قليلاً.

لا أذكر أيَّ فكرة أدبية جَديرة بالإشارة التَمعَتْ في ذهني، (لكن كانت لديّ الفكرة، الفكرة المناسبة لمقال عن المشكل الديني).

الأربعاء 09 / 04 / 1913

ذهبتُ في العاشرة صباحاً إلى «البايكسا». كتبت بطاقة إلى بينتو، وواصلت كتابة الرسالة إلى سا ـ كرنيرو. ذهبت مَرتين إلى «ترسانة المعسكر». في الثانية جرى بعض التقدم بخصوص الإجراءات. ثلاث مرّات في «مكتب لابادو». لم يكن عندي ما أقوم به. أعددتُ رسالتين في «مكتب ف. لابادو». لم أتناول العشاء. في الليل في «لابرازيليرا» صحبة فاليريو قَدَّمني زوي كويلهو إلى جواو أمارال. التقيت بـ ألبينو مينسيس ثم ذهبتُ معه حتى طريق «سانتا بَاربارا»

* A Aguia (تعني النسر) : مجلة ادبية كانت بمثابة وسيلة تعبير لحركة النهضة البرتغالية ساهم فيها بيسوا لبضعة أشهر إلى أن تسبَّب التلقّي السلبي لعمله المسرحي «البحار» من لدن أعضاء التحرير برفض نشره في المجلة في القطيعة النهائي للشاعر مع المجلة.

متحدثين كثيرا. راودتني فكرتان أدبيتان مِن الدرجة الثانية.

السبت 03 / 05 / 1913

تَوصَّلْت بمذكّرة من ألبارو بينتو مؤرخة بـ 30 أبريل. في التاسعة ذهبت إلى «مكتب لابادو»؛ ظللت هناك حتى منتصف النهار. كتبتُ ست أو سبع رسائل. الغذاء في المنزل. من «البايكسا» إلى «مكتب مايير» أنهيت الرسالة إلى سا ـ كرنيرو، والرسالة الموجّهة إلى «ناطال». وكتب ملاحظتين لا معنى لهما إلى [-].

مُذكِّرات شخْصيَّة

لقد تركت عادة القراءة ورائي. أنا لا أقرأ شيئاً مَاعدا الجرائد عَرضيّاً، وبعض الأدب الخفيف بالإضافة إلى كتاب مرجعي لأجل المسائل التي قد أدرسها والتي قد لا يكون البرهان البحتُ كافياً معها.

النموذج الأدبي نَسِيتُه عملياً. بإمكاني أن أقرأ لأجل التعلّم أو اللّذة. لكن ليس لديَّ ما أقرأ واللّذة التي تأتي من الكتب هي من نوعية يمكن تعويضها بكيفية مفيدة بما يمنحنيه مباشرة التواصلُ مع الطبيعة وملاحظةُ الحياة.

إنّني أتملّك اليوم القوانين الأساسية للفنّ الأدبي. لم يعد شكسبير قادراً على تعليمي كيف أكون ثاقب الفكر. ولا ملتون على جعلي كاملاً. لقد اكتسب فكري مدىً من التغير والتلوّن يجعلني قادرا على تقمُّص أيّما انفعال أرغب فيه وعلى الدخول، حسب إرادتي، في أيما وضع ذهنيٍّ أشاء.

فللمضيِّ باتجاه مَا هُو دائماً صراعٌ وقلق لا يوجد كتاب يمكن أن يدلّنا على طريق مستقيم.

هذا ليس مَعْنَاه أنّني اسْتمْرأْتُ استبداد الفن الأدبي بي. فأنا لَمْ أقم سوى باستخدامه مُخْضِعاً إياه لخدمتي.

أملك دائماً كتاباً بجانبي : «أوراق نادي بيكويك بعد الوفاة». كنت قرأت مرات عديدة كتاب السيد ب.ب. جاكوب. انحطاط الرواية البوليسية أغلق إلى الأبد باباً كان انفتح أمامي في الكتابة الحديثة.

لقد تركتُ الاهتمام بالناس ذوي الذكاء المحض؛ ويلز، شيسترتون، سواو؛ أفكار هذه الشخصيات مماثلة لِكثير من الأشخاص الذين لا يُمارسون الكتابة؛ بنية أعمالهم هي مجموع فارغ.

السوسيولوجا ماهي إلا بلاهة مطلقة. من يستطيع تحمُّل هَذِه السّيكُولائيّة في بيزنطة الراهنة ؟

كتبي جميعها أعمال ذات قيمة مرجعية. أقرأ شكسبير فقط لكي أراجع إشكالية شكسبير، ما عدا ذلك أنا على معرفةٍ به.

أكتشفتُ أن القراءة هي شكل مُسْتَرَقٌّ مِنْ أشكال الحلم. إذا كان عليّ أن أحلم، لِمَ لا أحلم بأحلامي الخاصة ؟

إنَّ فَقْدَ الاتصال بتفاصيل المحيط هو مَعْلَمْ بالنسبة إلى فَنَّان الأدب، لأنَّ مهمته هي تجسيد المجموع وليس تفاصيل ذلك المحيط.

قديماً كنت أعرف القراءة. اليوم حينما أقرأ أضيع. الميتافيزيقا ـ خزانة لاحتواء اللانهائي ـ دائماً تجعلني أفكّر في تعريفٍ سمعته ذات يوم مِن فم خَادم. أتعرف مَاذَا تعني خزانة ؟ سَأَلْتُه. لم أعد أذكر لماذا ؟ نعم، أعرف، أيها السيِّد، أجابني : هي شيء نَحْفظ فيه الأشياء.

ما قمتُ به من أفعال كان موجّهاً دائماً نحو الداخل... لم ألمس الحياة أبداً... كلما رَسَمْتُ إشارة تحوَّلتْ إلى حُلم... إنَّ فكرة سَيف أخفّ دائماً من السيف...

لقد قُدْتُ معسكرات كبيرة. ربحت معارك كبرى، استمتَعْتُ بهزائم كبرى؛ كل ذلك بداخلي. استمتعت متجوِّلا فحسب عَبْر طريق أشجار الحَوْر، وَعَبْرَ الممرَّات الطويلة، مُصْدراً أوامرَ للأشجار ولطيور الجدار... وعَبْر الممرِّ الطويل الموجود في القَصْر تَمَشَّيْتُ مِراراً مع خطيبتي... لم تكن لي أبداً خطيبة واقعية..

لم أَعْرف قَطُّ الحُبَّ كيف يكون... عرفت فحسب كيف يكون الحلم بالحب... إذا كان يحلو لي وَضْع خواتمِ امرأة في أصابعي فلأنني أحياناً كان يروقني أن أمسك بِيَدِي الشابِّ الذي كنتُه كما لو كانا يديْ أميرةٍ مفكراً أنني

كنتُ بالأقل في حركة يديَّ تلك، المحبوبةَ التي كُنتُ أُحبُّها... ذات يوم وجدوني مُرْتَدياً ثياب ملكة... وذلك لأنَّني كنتُ أتخيَّلُني في صورة تلك الخطيبة الملكية... أُعْجبتُ برؤية وجهي منعكساً لأنني كنت قادراً على تخيُّل أنه كان وَجْه شخص آخر، لأنني كنت ذا قسمات أنثوية، ولأنها كانت قَسمات وجه محبوبتي تلك المنعكسة في مِرآة تخيلاتي... وَفَمي كَمْ مَرَّاتٍ لَمَسَ فَمي في مرآة !

كَم مرَّات أزَحْتُ يَدي الأخرى، وكَم داعبتُ شعري بيدي الغَريبة لكي تَبْدُو هي يدي لدى مُلامَسَتِها إيَّاي. لستُ أنا مَنْ يَقُولُ هذا... ما تبقَّى مِنّي هو مَنْ يتكلَّم.

أتوقَّفُ أحيانا بين الحياة التي تمضي والتي تجيء. أعْزِلُ فَضَاءَ الانْصرام فإذا بالفزع الذي يُسبِّبه لي ذلك كُلُّه يهجُم علي.

في لحظات أخرى يتمثَّل الكون بغتة لي على نحو سَيِّء. إذ يقوم بِدَور آخَر، حيث يَبْدُو لي كأنني أسْمَعه، فجائياً، بِصَمتٍ آخر، مفاجئاً إياه في ثانيةٍ واحدة، في حركة أخرى مثْل سِتَارٍ تُحرِّكه الريح، ثم وللحظةٍ خاطفة يَسْمح برؤيةِ صورةِ شيء مَجْهُولٍ وَلا متوقَّع.

يُضَايقني فراغ مُطْلَق مِنْ أخوَّةٍ ومودَّة. حتَّى الذين يوجدون بالقرب منِّي غَيْرُ موجودين، إنني مُحَاطٌ بأصدقاء لَيْسُوا أصدقائي وبمعارف لا يعرفونني.

أَشْعُر بِبَرد في الروح، لا أعْرف كَيْفَ أَحْمي ذاتي ولا يوجد غطاءٌ ولا رداء لتدفئة بَرْدِ الروح. مَنْ لا يُحِسُّ لا يَنْسى.

أهَذَا معناه أنني لا أملك أصدقاء حقيقيين ؟ لا، لديَّ أصدقاء؛ لكنَّهُم ليسوا أصدقائي الحقيقيين. ثمَّة مِنْهُم من حَظُوا بِمَسٍّ من المُتعالي ومن يؤلمهم كل شيء بسبب بَرْدٍ سحيق يتعذّر وصفه.

لَا أكلِّم الآخرين.

إنَّه لَأمْرٌ شَاقٌّ في الواقع أن أكون موجوداً كُلَّ يوم في البيت في ساعة البلاهة وأن أتسلَّى بهذه البَلَاهة مَع شاي الابتذال وكَعْكَاتِ الرِّضا.

والواقع أنَّ إحساساً كهذا بكونك مدفوناً حَيّاً مُثيرٌ للاشمئزاز، ذلك أن غطاء خزانة المُواضعات مُلَحَّم بإحكام تام، ومع ذلك هناك أشخاص يشعرون بالحاجة إلى تهشيم ذلك الغطاء السميك وإنْ لَمْ يتمكّنوا بالفعل سِوَى مِن سَحْق الأصابع مع أنَّه لَيْسَ محكم السَّدِّ. في الإمكان التَّنفُّس بما يكفي للتنبُّه إلى عدم إمكان التنفّس.

(وللسُّكر حَتَّى لا مزيد).

أَنَا اليَوْمَ أكثر وَحْدةً مما كنت. مَعْزُول أكثر مِمَّا كنت. شيئاً فشيئا تتفكّك كل روابطي تلقائياً. عَمَّا قريب سأبقى وحيداً تماماً.

أسوأ آلامي يكمن في عدم قدرتي أبداً على نسيان حضُوري الميتافيزيقي في الحياة. هنا مكمن خجلي المتعالي الذي يُفْزِعُ جميع حركاتي وينزع عن جميع عباراتي رُوحَ البساطة والانفعال المباشر.

بيني وبين العالم ضبابة تَمنعني من رؤية الأشياء كما هي في حقيقتها، كما هِيَ بالنسبة إلي الآخرين.

هَذَ ما أحِس.

سَأعاني ما حييتُ جَحِيمَ كوني إيَّاي، المَحْدوديةَ المطلقة، الكينونةَ المطرودة من الكون القصِّي. سأستمرُّ موجوداً بدون أن أكون إلاهاً، ولا إنساناً، ولَا عالَماً. مَحض فراغ شَخْص، لا نهائي وَاعٍ بالعَدَم، رُعب بلا اسم، منفيٌّ من السِرِّ ذاته، من الحياة نفسها. سأسكن أبدياً القَفْر الميِّتَ الخطيئة المجرَّدة للخَلْق الذي تركني في المؤخرَة.

سوف يضطرم فيّ، خالداً لا مُجدياً، القَلَقُ العَقيم لعودتي إلى الكينونة.

لن يكون في مستطاعي الإحساسُ، لأنني سَأُحْرَمُ من المادة التي يُمْكِنني الاحساس بها. لَنْ أستطيع الشعور لا بالسُّرور ولا بالكراهية ولا بالرهبة لأنني لن أمتلك القدرة على القيام بذلك. وحده الوعي المجرَّد في جحيم كوني فراغاً. لا - محتوى مطلق. اختناق مطلق وأبدي. فراغ إلاهي بدون كون.

صَرْخَةُ رُعْب إجماعية انْفَتحتْ بيننا. كما لوْ كانتْ صَوْتاً وحيداً. عند المَوْتِ تلاشت الصرخة. وحده الإنسان مَنْ تلاشى. الشبح، الكينونة في الهواء، في الفضاء، فيما هو موجود في الأقاصي. ما ينقص هو كينونتي.

لا أزور أحداً، ولَسْتُ على اتّصال بأيٍّ طراز أو مجال من مجالات المجتمع من مقاه أو صالونات. قيامي بذلك سَيَجعلني أضحّي بِوَحدتي الداخلية، وَأُسْلم نفسي لمحادثات بلا فائدة، مُقتطعاً بذلك حصّة من الزَّمن المكرس لأفكاري ومشاريعي، بل وبِمَّا هُو أهم، من زمن أحلامي التي هي دائماً أجمل مِن محادثة الغير.

أنا مدينٌ للإنسانية المستقبلية. ما أنفقه فيَّ أنفقه من الإرث الإلاهي المحتمل لرجال الغَد؛ أقلِّل السَّعادة التي في وسعي منحهم إيَّاها كما أُقلّل نَفْسي ذاتها، ليس أمام عينيَّ فحسب وإنما كذلك أمام عيني الله المحتملتين.

لا يمكن لهذا أنْ يكون هكذا، لكنني أحسّ أنَّ من واجبي الإيمان به على نَحْو ما أراه.

أنتمي إلى جيل لَّما يَأتِ بَعْدُ. رُوحه لم تعد تعرف واقعياً الهدوء والمشاعر الاجتماعية. لذلك لا أفهم كيف يمكن إقصاءُ كائن ولا كيف يتقبّل ذلك الكائن حَدث إقصائه. كلُّ ما يتعلق بالمنافع الاجتماعية يبدو لي خالياً من أي محتوى. لا أشعر بما يعنيه الشرف، الحياء، الكرامة. كُلُّها عندي مثلما هي عِنْد جميع ذوي المنسوب العصبي المرتفع مثلي، كلماتٌ من لغة أجنبية مثل صَوْتٍ مجهول مجرد.

إن قيل لي إنهم أَقْصَوْني أفهم من ذلك فحسب أنهم يتكلمون عنِّي، لكن معنى العبارة يُفْلتُ منِّي. أعاينُ ما يحدث من بعيد بابتسامة خفيفة إزاء ما يحدث من أشياءَ في الحياة. اليوم مَا من أحَدٍ شعر بهذا. لكِنْ سيأتي يوم يستطيع أحدهُم فَهْمَ ما يجري. دائماً كُلَّما امتلكتُ أفكاراً حول قضية ما رغبت فَوْراً في امتلاك أخرى.

لَقَدْ بدَا لي التَّناقُض جميلاً دائماً جمالَ خالقِ الفوضى بما يجعله جديراً بدور المثقف مادام الذكاء يفكّك والتحليل يؤدي إلى الضمور.

دائماً سعيتُ إلى أنْ أكون متفرِّجاً على الحياة بدون أنْ أتورَّط فيها. على هذا النحو أعاين هذا الذي يحدث كغريب باستثناء ما أستخلصه من الوقائع المبتذلة المحيطة بي مِنْ شهوانية مريرة.

لا أحتفظ بأي حِقْد لِمَن سبَّب هذا. لا أحقاد لَديَّ ولا كراهيات. هذه المشاعر تخص من يملكون آراء أو مهنةً أو هدفاً في الحياة. وَأنا لا أملك من هذا شيئاً. ما أملكه في هذه الحياة هو اهتمامُ محلِّلٍ لأنماط الجنون. أتوقَّف. أفك رموزها ثم أواصل إلى الأمام. لا أقحم في ذلك أيَّ عاطفة. لكن لا مبادئ لديَّ. اليوم أدافع عن فكرة. وغداً عن نقيضها. ولا أؤمن بما أدافع عنه اليوم، ولن يكون لديَّ إيمانٌ بما أقوله الآن. اللعب بالأفكار والمشاعر بِدا لي دائماً هو الأسمى في جماليته، أحاول أن ألعب بِهِنَّ قَدْر ما أستطيع.

لَمْ أشعر قط بأنني مُبعد. كَمْ أنَّا مُمْتَنٌّ لِتزْويدي بهذه المتعة ! إنَّها شَهْوانية ناعمة كشيء بَعيد.

إنهم لا يفهموننا، أعرف ذلك تماماً...

1914

*El paulismo هي كما قال جواو كورّيا دي أوليفيرا تَسمِيمٌ آتٍ من الاصطناع.

تلك هي قائمة غيلهرمو دي سانتا كروث في هذا الشأن. عَبْد بائس يُخفي الحِذْق لديه انعدام الأصالة الحقيقية. «عَبْد» جسور، مثل كُلِّ أولائك الذين لا يمكنهم أن يكونوا شيئاً آخر يثير الاهتمام عن جدارة.

إن el paulismo هو العبادة الكاذبة لِلْمُصْطنع.

ثمة ثلاثة أشكال للمصطنع : تعهُّد الاصطناع كفلسفة ـ كما في حال أوسكار وايلد ـ ؛ الظهور بمظهر مَنْ يُعجبُ بأيِّ شيء منحّط، وَقِح، إجرامي وعنيف؛ محاولة التظاهر بالجنون عَبْر ظرافة مستمدّة مِن تفكير مُختلّ.

لا وجود لأيِّ عبارة «پاولية» في أيِّ عمل من أعمالي مكتوب بجدية وبفكرة متسامية.

ضَرورةُ تضئيل الحيِّز الـ«پاولي».

عبادة الأشياء الثانوية.

---

* أو «الباولية» حركة أدبية اخترعها فرناندو پيسوا بقصيدته المزدوجة : «انطباعات شفق» 1914، حيث وردت في الثانية منهما كلمة «بولس» أو «بول»... وهذه الحركة هي الأولى من ثلاث استيتيقات طورها پيسوا ما بين 1913ـ 1915 وهي «الباولية» ذاتها فـ«التقاطعية» فـ«الحسوية» وهي تندرج في مجموعها ضمن الحداثة البيسوية بدون أن نغفل طبعا تبني پيسوا للمستقبلية في المرحلة الثانية من أعمال ألبارو دي كامبوس.

ذلك أنَّ كُلَّ ما هو عظيم مثير للدهشة. أمَّا مَا هُو مصطنع فَيُحاول أن يُدهش ليثير الانطباع بأنه كبير.

ولأنَّ كُلَّ ما هو جديد يُغيظ، وما هو مصطنع يُحاول أن يُغيظ، فثمة، فضلاً عَمَّا هو جديد، شيء آخر يغيظ أيضاً: هو اللامعقول، المغيظ على نحو خالص. غموض.

ذلك أنَّ فتح طريق جديد للفنِّ يقتضي الجراءة، أما ذلك المصطنع فلا يتخطى حدود كونه جريئاً بدون امتلاك أي دافع روحي ليكون جريئاً حقّاً.

على هذا النحو ينشأ انقلابٌ في العامل النفسي.

1914 / 11 / 21

اليوم باتخاذي نهائياً قراري بأن أكون أناي وأن أحْيا على مستوى ذاتي، وَمن ثَمَّ، أن أحتقر فكرة النداء، نِدَاءَ التشارك الجماعي العامّي، نداء التقاطع والتلاقي؛ بقراري هذا وبعودتي من رحلتي الانطباعية عن الآخرين، تملكتُ مَرّةً أخرى عبقريتي ورسالتي. اليوم أريد فقط أن أكون كما يريد طبعي الفطريُّ أن يكون، وكما تقتضي عبقريتي المولودة معه منّي أن أكون.

سأختار من ضمن المواقف المتاحة الموقفَ الأنبلَ الأعلى والأكثر هدوءاً. ومن الأوضاع الممكنة سأختار الوضع الذي أنا عليه.

لا مواجهات مع العوامّ ولا من نيران خداع في وجه قهقهتهم أو تهجُّمات الأدنياء. فالتفوُّق لا يلبس قناع المهرّج وإنما يرتدي بذلة الانسحاب والصَّمتِ.

بهذا انتهى آخر أَثَر لتأثير الغَيْر في مزاجي. لقد اسْتَرْدَدْتُ وَضْعي الخاص بإحساسي بأنني قادر على التحكُّم في الرغبة الحادة والطفولية لـ «إطلاق التقاطعية».

ثمة شعاع غمرني اليوم تجليَّاتٍ.

لقد وُلِدْت مِنْ جديد.

من منظورات هذا التجلّي: بلوغ انفتاحي الفكري أهليَّته.

شعوري الاجتماعي بلغ نقطة توازنه.

دراستي الجينالوجية.

اهتماماتي المضحكة بإنهاض أوربا انتهتْ. اسْتَعَدْتُ رغبتي في المساعدة والتعاون مع «renesença»، لأنَّ هذا هو الطريق اعتباراً للفوضى الفكرية والاجتماعية الموجودة بداخلي.

هناك بالذات في وسعي العمل لأجل الوطن. محاولتي الأخيرة لأكون رَجُل فِعل انْتهتْ (أيّ محاولة في التجارة مرة أخرى ستكون النهاية، لا فائدة، كارثة المطبعة* كانت البداية).

واعٍ بدوري الاجتماعي السياسي الثقافي وبما أستطيع وما يجب أن أقوم به. حَساسيتي تُجاه الانطباعات والخواطر دفعتني إلى أبعد ما يمكن. لحسن حظي لم أتمكّن مِن إنجازها، وهكذا كان عليَّ أن أتجرّع النَّدم.

(خالتي أنيكا كانت على حقّ لَمَّا قالت لي إنها لن تَسمح بِأَنْ يسيِّرني الآخرون؛ قالت ذلك، في سياق آخر، لكن أيضاً في نفس هذا السياق إلى حدٍّ ما.)

بدءاً من هذا اليوم، سأحاول أن أدرس، أعمل وأشتغل. همومي الروحية ستستمرُّ على أوجه كثيرة، لكنها ستنتهي عند واحد منها : عند البحث عن نفسي ذاتها التي أجدها قلقة جوهرياً، لأنني لم أعثر عليها بعد.

مارينيتي...، الزعيم الأكبر للـ «clowns»، لا أكثر...

ليكن ارتباطي بالناس أقلَّ.

ليرافقني الله.

عليَّ أن أختلط بالمجتمع ؟ seek love

يَبْدو أنَّهم غَيَّبُوا التشتت، الخضوع، الضعف

التخلِّي أمرٌ شاق، مثل مؤمن يريد أن يصبح قسّاً عليه أن يترك خطيبته. لكن، في الآن نفسه، ثمة إحساس عارم يُولّده التحرّر والانعتاق.

علاوة على ذلك ينبغي وضع عظمتي في الحساب، موقفي العامّي سيكون مؤلماً إذن.

* في 1907 توصَّل بّيسوا بميراث عائلي فقرر أن يستثمره في مطبعة في بورت أليغري وكانت النتائج كارثية.

إنها الحرب، تضع جديَّتها في مواجهة المستقبلية العابثة ؟ أَبِوُسْعها التأثير عليها ؟

رسالة إلى كورتيس رودريغيز.

كورتيس رودريغيز هو أفضل من يفهمني في العمق، من بينهم جميعاً، فلأقل ذلك.

لكن ؟ ألا تبقى «التقاطعية» كشيء دقيق، كإعلان ثانٍ، معها وبها الأنطولوجيا ؟ فلأختبر هذا.

«التقاطعية» في المقام الأول مُقاربة لأشخاص آخرين، تمرُّد مَدْرسة تزَّعمْتُها، وبسببها تلقّيتُ التصفير والاستهجان من مدارس أخرى.

تَأثُّرات 1914

1904 - 1905 : تأثرت بـ ميلتون وبشعراء الحقبة الرومانطقية : بايرون، شيللي، كيتس وتنيسون (وأيضاً، في فترة لاحقة، بـإدغار بو، القاصّ بالدرجة الأولى). تَأثُّرات خفيفة أيضاً، بمدرسة «البوب». وكارليل في النثر. بقايا مؤثّرات لشعراء ثانويين برتغاليين قرأتهم في الطفولة.

في هذه المرحلة ترتيب التأثرات كان على النحو الآتي :

1، بيرون؛

2، ميلتون، بوب وبيرون؛

3، بيرون، ميلتون، «بوب»، كيتيس، تنيسون، فشيلي بدرجة أقل؛

4، بايرون، ميلتون، كيتيس، تنيسون، وردزورت وشيلي؛

5، شيللي، وردزورث، كيتس، بو.

1905 - 1908 (نهاية) : إدغار بو (الآن في الشعر)، بودلير، روللينات، أنتيرو، جونكايرو (في القسم المعارض للإكليروس)، سِيزاريو بيردي، خوصي دورو، إنريكي روصا.

1908 - 1909 (نهاية) : غارّيت، أنطونيو كورييا دي أوليفيرا. أنطونيو نوبري.

1909 - 1911 : الرمزيون الفرنسيون، كاميلو بيسّانها

1912 - 1913 : النزعة السّوداوية*

قراءة الروايات البوليسية هو ما تبقى لدي التسليات الفكرية في هذه الحياة. بل إن من بين أسعد الأوقات التي أمضيتها في هذه السنة هي تلك التي قرأت فيها كونان دويلي أو أرتور مورّيسون والتي تمتصُّ وعيي بتمامه.

ذلك أن مُؤلَّفاً لواحد من هذين الكاتبين مع سيجار من 45 للعلبة، وفكرة فنجان قهوة : ثالوث، يجسد اجتماعه اقتراناً للسعادة بالنسبة إليَّ؛ سعادتي تتركّز في هذا. ذلك أن مخلوقاً ذا أحاسيس جمالية وذهنية لا يمكنه أن يطمح إلى أكثر من ذلك في المحيط الأوروبي الراهن.

ما قد يثير دهشتكم رُبَّما ليس كون هؤلاء المؤلفين هم كتابي المفضلين، وإنما لأنّني أؤكد ذلك على هذا النحو.

لا أعرف مَنْ أكون، وأيَّ مزايا أملك.

عندما أتكلم بصدق لا أدري، عن صدق، عَمَّ أتكلَّم. إنني آخر مختلف، يتميّز عن ذلك الأنا الذي لا أعلم إنْ كان موجودا.

أشعر ألّا معتقدات لديَّ. انشغالي الدائم بي يظهر لي باستمرار خيانات رُوحٍ لمزاج رُبَّما لا أملكه وذلك الروح لا يؤمن بامتلاكي إياه.

أشعر بأنّني متعدّد.

إنّني عبارة عن غرفة بمرايا عجيبة لا عَدَّ لها تتشوَّهُ متحوِّلةً إلى انعكاسات زائفة، إلى واقع غير موجود في أحدٍ وموجود في الجميع.

وكما أن الحُلُوليَّ* يحسّ بنفسه موجةً، نجمة وزهرة، كذلك أشعر بأنني عبارة عن مخلوقات عديدة. أشعر بي أحيا حيوات غيرية في ذاتي، بكيفية ناقصة، كما لو أنَّ كينونتي متقاسَمة بين جميع الرجال، منقوصةً، ومُفردنةً* في

* el saudadismo ترجمتها بالسوداوية غير كافية تماماً مثل ترجمتها بالحنينية (أنظر مقدمة ترجمتي لـ : أعمال سا ـ كرنيرو الشعرية.)

* Panteista

* Individualizado

مجموع من لا ـ أنوات موضوع فِي «أنا» مُصطنع.

الفِعْل يعني التدخل، ذلك أنَّ ذراعاً تتمدَّد وتحتلُّ حَيِّزاً تتحوَّل، على هذا النحو، إلى منحوتة ميتافيزيقية. لَنْ أفرِّط أبداً في إعطاء هذا الأقلِّ أهميّةً مجنّحة فوق اليوميّ.

لم أَرَ إلى نفسي أبداً أكثر من كوني محجّاً لأنماط من اللاوعي لأجل خريف نواياي. الساعات الطويلة التي أمضَيْتُها على ضفّة النصرامي أوجدت فيَّ وادياً فوق كَيْنُونتي.

مع خطواتي يرتعش ضوء النجوم. إشارة من يدي، إذ تخفي القمر للحظةٍ معينة، تُظهر مع دهشتي، كلَّ ما يمكن واقعياً أن تعنيه. من هذه الخواطر* التي صارت أليفة ويوميّة بالنسبة إلى حساسيّتي، انبثقتْ في روحي فكرةُ غرقٍ في الميناء. كوني موجودا دائماً عَنَى بالنسبة إلي الجرأة. الرغبة عنت لي المجازفة. الفتور علّمني الصّحة، والافتقار إلى الإرادة والعادات الحسنة. هكذا شيّدت خُلُقاً بورجوازيا للفكر عنايةً بالأدب والراحة عبر احترام السِّرِّ. إن الوعي المفرط المقيم فيّ دائماً بلحظاتي آلَمَني دائماً بصفته سِرّاً وألوهية. لم أفهم ذاتي البتّة؛ ولا سيما لَمَّا فاجَأْتُني وأنا أحيا لَاوَعْي غرائزي والرجّة العاميّة لانعكاساتي العَصَبيّة.

في وسعي أن أكرِّس نفسي لأيّ شيء : طائر كنار، كلب، امرأة، بحث تاريخي، الحَلّ المستحيل لمعضلة نحوية لا مجدية... حينئذ نعم، قد أكون سعيداً، ربما، لكن لا قيمة لشيء عندي عَدَا أخاييل أحلامي، فَتِلْكَ أَشْيَاءُ حقيقية بمحض ذاتها. حتى عندما أملك لذة الحلم بها، أُحِسَّ بمرارة أنّني أحلم بها.

فكّرتُ، لفترة من الزمن في أنْ أتَفَرَّغَ لِدراسةٍ مُسْتَفيضة للأناجيل الأربعة. قَرَأت بحماس عن الموضوع الذي اشتريته في حالة انخطاف. طلبتُ الكتب الأخرى متلهّفا. لما وَصَلتْ لَمْ أَقْرأها .

---

* في مواضع محدَّدة ترجمت عبارة ideas «أفكار» بـ«خواطر» أو «خطرات» بحسب اقتضاءات السياق وفق اجتهادي وفهمي.

يوْميّات
نوفمبر 1915

1 ـ يوم تناقضات ثابتة، مفرطة.

2 ـ يوم بتناقضات أقل من سابقه. عاصفة خفيفة. يستحيل أن أترجم العمل الذي عليَّ أن أتفرغ له. ثمة مسألة : كتابة صفحات في السوسيولوجيا في الصباح، حتى الثانية تقريباً، توقُّدٌ ذِهْنيّ هائل مع حَدْس معقلن.

3 ـ يوم جيّد جدّاً؛ استقبلته بتلقي مذكّرة من خ. لان (مفرحة وإن كانت غير ذات معنى)؛ أ. صوصا، بدون أن أطلب منه، أعطاني عشرة دولارات. لم أقم سوى بالقليل من المهام، رغم ذلك، لأنَّ رسائل كثيرة كانت بانتظاري في المكتب. بالإضافة إلى ذلك قَرَأْتُ جيّداً في الليل. قرأت جيمس. ألَمٌ في المعدة طوال اليوم تقريباً، منذ الإفطار حتى ما قبل العشاء بقليل.

4 ـ يوم بَيْن بيْن. اشتغلت جيّدً جدّاً، ثلاث وعشرون صَفْحة. على العموم كنت هادئاً، وهو ما ليس سيِّئاً. الأمر الوحيد السيِّءُ هو أنَّ النهار كان ممطراً، إضافة إلى تزايد قلقي بسبب الرَّعْد.

5 ـ يوم سَارٌّ برتابته. عاصفة في الليل، لكن كنتُ في المنزل ولم يُدوِّ الرَّعْدُ إلّا قليلا. أنهيتُ الترجمة.

6 ـ مثل سَابقه. توصَّلْتُ بالمال مقابل التّرجمة. رعود في الليل. لكن بدون

تأثير يذكر فيّ. تخيَّلت أن السماء ستُرْعد فلم أذهب إلى «إستريلا». نشاط ذهني في الليل.

7 ـ يوم هادئ. سَارٌّ. هَادِئ في المنزل. نَشَاطٌ ذهني جيِّد في المساء.

8 ـ يَوْم سَيِءٌ، شكوك حَوْل أُمُور «إستريلا»؛ تَأَسَّيْتُ بالتفكير التنجيمي، بألا أذيَّة واقعية يمكن أن تحدُث لي. مطر غزير، لكن كنت أرتدي معطفاً. أُصِبْت بحمّى في المساء. في الليل قمت بزيارة للخالة ليسبيلا (تلقيت رسالة منها في المساء)؛ حضورها كان حَدثاً سارّاً.

9 ـ يوم جيد. في الصباح أَفْطَرت مع بيريس دي ليما وأنصتُّ إليه يُلقي علي عديداً من قصائد جيّدة. في المساء بحضور فرانكو رَبِحْت دولارين، وَصَلَتْ بعض الكتب الإنجليزية إلى المكتبة الإنجليزية.

10 ـ يَوْمٌ مُبدَّد؛ لَمْ أَقُمْ بشيء مِمّا تصوَّرتُ القيام به. لكن ليس باليوم السيء. أنهيتُ اليوم في نُزُل الخالة ليسبيلا ومنه إلى «لابرازيليرا».

11 ـ يَوْمٌ لا هو بالممتع تماماً ولا هُو بالمُزعج، وإن لم أُفد منه إلا القليل.

12 ـ يَوم بلا ميزة، مُزعجٌ أكثر من كونه شيئاً آخر. قُمت بفعل أزعن ونَزِق بشرائي كتاباً بَدَّدت معه كل ما كان معي تقريباً من مال. ذهبت إلى «مكتب فرانكو لابادو» لإعداد رِسالة واحدة...

13 ـ يوم بلا ميزة، لكنه ممتع أكثر مِمَّا هو مزعج.

14 ـ يوم سَارٌّ حتى الواحدة. بعدئذ تناولت فطوري، مع أفكار مشوشة في ذهني. انقشعتْ أمور الفكر مِن الرابعة إلى السادسة مساء، بمحادثة مُمْتعة. في السادسة التقيت بـ B.V وزوجته، وباشيكو وألمادا. مِن هناك اتجَهْت إلى معرض الصور الفوتوغرافية، الفكرة كانت رديئة. في النهاية قَضَينا لحظة ممتعة. عدت إلى المنزل، بدون عشاء، لأنني بلا مال؛ لكن بالكاد اهتممت للأمر، لأنني شربت قليلاً من النبيذ في معرض بيدرو ليما. في النهار إبداع أدبي سريع غَيْر متوقَّع (أهجية لـ أنطونيو غوميز لجامعة «ليما»، مقاطع)؛ في السرير. ليلاً، صعوبة في

استدراج النوم بسبب الاهتياج الذهني. إحساس حَادٌّ. نِمْتُ في الواحدة. رغم كل شيء، بعد وصولي إلى المنزل في التاسعة واضطجاعي في العاشرة.

15 ـ بدأ اليوم بخيبة صغيرة. جواب سلبيٌّ من غيمارايس (مع أنَّه مقبول لأنَّ الأهجية غير مكتملة). أمضيت ما تبقّى مِن اليوم بصورة حسنة، مع شكوك صغيرة (لكن ذاتية) لا أهمية لها. بَيْنَ الثانية والرابعة مساء توصَّلْتُ على غَيْر توقُّع بدولار ونصف من لُومِيلينو لِتَرقيني تَرْجَماتِه. نهاية اليوم كانت جيّدة في نُزُل الخالة ليسبيلا؛ كانت على حسٍّ فُكاهي رائع مع رغبة في الكلام فقد استقبلتْني بالفعل هي وابنة أختها أحسن استقبال بالطبع. اهتياج ذهني هائل ما بين الثانية والخامسة صباحا. من اليوم 16 ما بين الثانية ليلاً والخامسة صباحاً تقريباً لحظةُ انخطاف ذهني كبرى، خواطر فلسفية عجيبة وهامة مكملة في قسْم مِنْها لمنظومتي الفلسفية. حالة من عدم ارتياح فيزيقي وانتفاخ غازي. مزيج من جنون العظمة ومن أفكار دينيّة (لَمْ تَنَل بتاتاً مِن توقّدي). نمت في الخامسة والنصف حتى الساعة الحادية عشرة من اليوم 16. هذا الطرف من الليل كان حافلاً بالنشاط الذهني. بعودتي إلى المنزل حوالي الساعة الحادية عشرة والنِّصف عَرَتْني «مخاوف روحية» مُقْلِقة نسبيّاً.

16 ـ استيقظت حوالي الساعة الحادية عشرة، بقيتَ مشوَّشاً بسبب هذا التأخر حتى الرابعة. في المكتب تلقَّيْتُ أخبارا سارة؛ المسوّدات الأخيرة من «أفكار حلولية» وَصَلْتْ أخيراً : وبهذا سأجيب على تَساؤُل الخالة كارولينا؛ هذه المسوَّدات غير المتوقَّعة أتْعَبَتْني تصحيحاتُها. لن أستلم المال هذا المساء، مع ذلك، لأنني وَصَلت متأخراً. قرأت قصائد لـ كاييرو وريكاردو ريس على راوول لِيَال، ويبدو أنها أعجبته كثيراً : لحظات سارّة. إلى المنزل فوراً بعدئذ. تَعَشَّيْتُ في التاسعة والنصف، دَخَّنْتُ أقل بكثير من المعتاد، بإرادتي، وبسبب المفعول الطبيعي للتبغ. يوم سارٌّ على العموم. (في الصباح، وفضلاً عن اغتباطي بالمسوّدات تلقَّيْتُ أخباراً سَارَّة من رسالة سا ـ كارنيرو، فيما يتعلَّق بالأخ نييس).

17 ـ يوم سَارٌّ من ناحية وسيءٌ من ناحية أخرى. توصَّلت بعشرة دولارات

ثم بلّلْتُ قَدَميَّ بسبب المطر. لكن بدون مضاعفات، اضطررت إلى شراء مطرية ضد رغبتي.

18 ـ يوم سارٌّ أكثر من كونه مزعجاً. ليلة سَارَّة في جَوّ اجتماعي. نهار فارغ (عقدت العزم على عَدَم رَدّ الدولارات الخمسة للخالة كارولينا).

19 ـ يَوم ضائع؛ سلسلة من الإزعاجات الصغيرة، بعضها مَسَّ حَسَاسِيَّتي الشائخة. ذهبت إلى «مكتب فرانكو لابادو»، وَلَمْ أكتب أيَّ رسالة. قضيتُ النهار كله (إلى التاسعة ليلاً) مخبولا. بلغني حديث سيّء (وإن كان تافهاً) عَنّي مِنْ صديق (لَمْ يَقُلْهُ لي). أنهيت الليل في البداية ، مع الخالة ليسبيلا، وبعدها مع راموس، بيلهينا، وسانتا ـ ريتا. لحظات سارة على العموم. توصلت بالمال لأجل تسليمه للخالة ريتا، لم أسلّمها قسطاً مِنَ المال (الفاضل من الصّرف) الذي كان عليَّ أن أسلمها إياه (وإن لم تنتبه إلى الفرق)... لم يكن ذلك سيّئاً.

20 ـ يوم فارغ، من الصنف الضائع، سَارٌّ أكثر من كَوْنه ضارّاً.

21 ـ كَسَابقه.

22 ـ نفس الشيء. يوم سارّ، خصوصاً في الليل، كنت متوقداً وبليغاً، في الليل الذي أمضيته في وضع شبه واع.

23 ـ نفس النّمط مِنَ الأشياء. عملت على الترجمة قليلاً. نفس التسوية المالية.

24 ـ بدأ اليوم كسوابقه، لكنه تحسَّن في المساء (بين الثالثة والخامسة) لَمّا أدى لي فرانكو دولاراً. الليلة كانت هادئة؛ خواطر متوقّدة. لكن برُجوعي إلى المنزل (حوالي العاشرة والنصف) شَعَرت بانقباض حادّ وبرغبة في التعبير عنه بواسطة الكتابة، لكنّني عجزت عن ذلك.

25 ـ استَيْقَظت بألم في الحنجرة، لكن سرعان ما اختفى. يوم «ضائع» لكنه غَيْر سيِّء. عَدَا معرفتي بأنه يوم مضيَّع.

26 ـ يوم شديد الخصوصية، صوفيٌّ. التقيتُ بـ سيزار بُورْطو، تعرَّفتُ

مصادفةً (أو بعبارة أفضل، عرفت من جديد، لكن بكيفية أحسن هذه المرة) على خوان دانوغاليس في مكتبة مونتيرو، رجُلٌ ذو ميول مشابهة لـ «أورفي» إلخ. ضيَّعتُ كلَّ الوقت الذي كنتُ سأقضيه في الترجمة.

أُصِبْت على مَدَى النّهار بثلاث نوبات مِنْ دُوار ذي تنويع خاصٍّ جدّاً ومن نَمَط فيزيقي مُجرَّد، لكنني كنت متوقد الذهن طوال اليوم. دَخنتُ كثيراً وشربت الكثير من القهوة. ماريو أسعفني ببعض المال الذي نفعني في التخلُّص من الورطة. لكن هذا ليس بالأمر الحسن. مَرَّ اليوم على أحسن ما يرام باستثناء عَدم إفادتي منه. في الليل، حديث طويل وممتع مع ليوناردو كويمبرا.

27 ـ يَوْم تعطُّل، بِلَا معنى. لقاء مهم مع نوغاليس.

28 ـ نوبة زكام بقُدوم المساء، مع حُمَّى عند حلول الليل؛ لذلك لَمْ أذهب إلى منزل أنطونيو سيلبانو، ومع الحُمَّى انضافت نوبة اكتئاب لازَمَتْني طوال الليل. المبلغ الذي أعْطانيه ماريو أقلقني قليلاً.

29 ـ يوم سَارٌّ وهام. مسألة نُقُود ماريو وجدتُ لها حَلّا غير متوقع بطلبي سُلْفةً منه مبلغها عشرة دولارات (+الجَزْمة) حتى ٧ ديسمبر. أنجزتُ الترجمة بسهولة. حالة حُمَّى خفيفة جدّاً، بدون ألم. سُرِرْت بلقائي بـ ليال. في الليل، مع الخالة ليسبيلا في نُزْلها، كنتُ مَسْروراً جدّاً؛ أتبادل النَّظرات مع فتاة مثيرة للاهتمام يبدو أنني رُقْتُها. أحسستُ بي لطيفاً معهما (هي وأختها رُبَّما)، رغم أنني لَمْ أكلمها حتَّى... الإمبراطور، آه...!

30 ـ يوم عَمَليّاً مُبدَّد، رغم أنه ممتع، لأنَّ السماء كانت صافية بعد لحظات مطر قصيرة، ولأن الحياة مرَّت ممتعة. في الليل سَرَّني سَمَاعُ تعليقين مختلفين مِن (كورتيس رودريغيز وبيرْدِيغَايُو) حول ذَوقي في اختيار مَلْبَسي (أوه، أنا). ثم قضيتُ نصف ساعة أخرى في النُّزل ناظراً (ومتبادلاً النظر) مع الفتاة (سبعة عشر عاماً رائع) وقد بَدَوْتُ ظريفا لها ولأختها، وحتى لِأمِّها الصَّمّاء. كُلَّمْتُها بدون ارتباك، بَلْ وناظراً إلى عينيها. آه...!

ديسمبر 1915

1 ـ يوم ضائع، مِنْ جديد. يَوْم تخلَّلتْه انقباضاتٌ قويّة مع شعور بالقلق. لا سيما في المساء. كُلُّ ما مرَّ بي في الأيام المنصرمة سَبَّبَ لي إنها إنهاكا مُقلقاً. هَدأتُ قليلاً في الليل. لكِنْ مع الارتياب في إمكان حُدوث أمْرٍ سيّء لَمَّا ذَهَبت لرؤية إنريكي روصا. هذا الارتياب مبعثه رسالة من أمي تخبرني فيها بأنَّ قواها المعنوية منحطّة جدّاً. أُجْبرتُ على عدم الذهاب إلى النُّزل.

2 ـ يوم عَمَل متواصل في المكتب لإعداد الدَّوريات لكنه، رغم ذلك، لم يكن يوماً سيّئاً حتى الليل. بسبب العمل كنت ساهياً جدّاً في الليل. لم أجد الصبر الكافي لأتوافق مع الإسباني. ذَهَبت لمُلاقاة إنريكي روصا فَمضى كل شيءٍ على ما يرام. ثم إلى «لابرازيليرا» حيث رَمَاني خوليو دي بيلهنيا بكأس ماء وهو يقوم بحركة بالذراعين. توجهت إلى النُّزل حيث كلَّمت بِسهولة وقوة الفتاتين (ساخراً من بعض الأفكار المبتذلة في حديثهما) كَانَ ذَلِكَ ممتعاً، لَكِنَّ تعمُّق «الإمبراطور» سبَّب قلقاً كبيراً. أظن أنَّ تُؤَدَتي فاجأتِ الفتاة، بَدَت لي فتاة واعيةً تماماً بذاتها. غادرت في الثانية عشرة والنصف إلى مَنْزلي، مع لحظات اكتئاب قوية.

3. 4. 5 ـ لا شيء غير المألوف هذه الأيام، ما عدا تغيُّبي عن العمل وعن زياراتي إلى النُّزل. الأحد (يوم 5) كنْتُ على وَشَك أن أبقى بلا أكل بسبب المطر، لولا استدراكي الأمر. تناولت وجبة واحدة طوال اليوم بكامله في المنزل. خرجت ليلاً ثم عدت تحت المطر، استمر هطول المطر يوم الأحد، نمْتُ مع معاناتي بسبب الأزمة المالية.

6 ـ يوم صعب بسبب هطول مطر غزير بَلَّلني وبلَّل بذلتي فبقيت نصف ساعة أنتظر تحت أحد الأبواب، فضلاً عن أن عملي في الترجمة لم يتقدّم إلا قليلاً. مع ذلك كانت زيارتي إلى النُّزل حسنة جدّاً إذ لم يكن لديَّ إلا القليل من الوقت أمضيه هناك (كانَ عليَّ أنْ أعودَ إلى المكتب) وهكذا لَمْ أشعر بالملل، ثم إن عذوبة الفتاة لم تَخْتف من محيَّاها تماماً، رغم تخلُّفي عن المجيء لثلاثة

أيام متتابعة مِمَّا حمل الخالة ليسبيلا على الاعتقاد أنَّ السبب هو أنني شعرت بالإهانة من قولها بأنها «سترميني إلى الشارع، في ليال عديدة سابقة» وقد وجدتُ هذا مسليّا، لأنها فكرّت بأن الأمر كان حقيقةً وأنه شغلها كثيراً. حَالَة اكتئاب مروِّعة في الليل. مَابقي من مال نَفِد تقريباً. معنوياتي كانت في الحضيض. تحت تأثير قوة ذلك الاكتئاب شَرَعْت في كتابة رسالة إلى سا ـ كارنيرو وتوقّفت لانعدام الرغبة في الكتابة (علاوةً كنت، أنتظر مجيء غيسادو لفترة من الزمن ولم يجئ).

7 ـ يوم أحسن. هو الأحسن. اشتغلت جيّداً جدّاً في الترجمة كما في المكتب (خمس عشرة رسالة) لا اكتئاب بل بالأحرى بداية أفكار شديدة الجلاء مضادة باطنياً للحلولية الالاهية. في الصباح حكى لي فيتوريانو براغا أنَّ كويلهو دا كاربلهو يرغب في أنْ أقوم أنا بترجمة «فاوست»، لكن الأداء غير مضمون بَعْد إنجاز الترجمة.

1916 / 06 / 13

وهكذا بلغت اليوم عامي الثامن والعشرين بدون أنْ أنجز شيئاً في الحياة؛ لا شيء في الحياة، لاشيء في الأدب، ولا في حياتي الفردية حتى هذا اليوم. جرَّبت الفشل حَتّى تبعاته الأخيرة.

آه، إلى متى عليَّ أن أواصل تجريب الفشل ؟

كُلَّما امْتَحَنْتُ وعيي أكثر فأكثر صار تسامحي مع ذاتي أقلَّ فأقل بسبب بطلان حياتي.

أي شيء رهيب أخَّرْتُه على هذا النحو ؟

قراءاتي القاصرة الناقصة، افتقاري إلى الروح العمليّ...

1917 ـ 1918

رُوحي بالنسبة إلي، هي سَطْح تكريسي لعملي. روحي تحيا بصفة ثابتة

في دراسة وتعهُّد الحقيقة بغاية أن أترك، عندما تنقطع الصلة التي تربطني بهذا العالم، عملا نافعاً لتقدُّم وخير الإنسانية. أعترف أنَّ المعنى الفكري الذي تتخذه المنفعة لدي بمقتضى مزاجي يبعدني، أحايين كثيرة، عن المبادرات الصغيرة التي تعبِّر عموماً عن الروح الإنساني، أعمال الإحسان، التفرغ اليومي لفعل الخير هي أمور نَادراً ما أشعر بالدافع إليها، بالرغم من ألا شيء فيَّ يَدْعُو إلى رفض هذه الأمور.

مهما يكن من أمر أعترفُ حتى أنصف نفسي، بأنني لستُ أكثر أنانية من أغلبية الأفراد وأقلَّ بكثير من زملائي في الفن والأدب. أبدو أنانيّاً في أعين أولائك الذين هم من ذوي أنانية مصَّاصة مِمَّن يطالبون الآخرين بتكريس أنفسهم للغير بمثابة ضريبة.

أحياناً، في أحلام مُشتّتة منبثقة من زوايا التفكير والانفعال تظهر عندي رُؤى للحب. أجدني أَحُلُّ عُقدةَ هَوَى متبادل مِنْ مسلولة عبقرية كتبتْ عَمَلها الخالد على أمَل ما لست أدري وهي جالسة دائماً إلى نافذة منزل مَطْلِيٍّ بالكِلْس، تارة تكون هي المركيزة التي تعيش في المزرعة العالية، وبمعرفتها بأنني كنت أعيش قريباً من المكان الذي لم يكن عليَّ أبداً أن أكون فيه، تأتي بي إليها بدون رغبة مني؛ حُبُّنا يكبر بدونما قصة، مع خلاصة كبرى؛ أحيانا حتى الرومانطقية تتخلَّى عن المَسلولات والمركيزات؛ وثمة سهولة كبيرة في الرغائب المحلومة : وُجدتْ هي في الحياة مثل زهرة وسط النباتات العالية قَطفتُها لأجل مَذْبحي النقي والبَهي. حياتنا على الأقل، وفق ما يصوّره الحلم، تَهجَع في سكينة وصدق وتحبُّب.

آه، أيُّ تشابكات معقدة على سطوح السفن في الجزائر النائية، في الفنادق الكونية في الأسفار العابرة التي لا ترقى إلى إغواء شعوري، كملابس معروضة.

لكن، بغتةً، وبعودة مِن الكابوس المدهش، وقد استَيْقظْتُ مِنْ رُومَانْطِيقيتي الجنسيّة، أخجل من نفسي لكوني صَنَعْت بخواطري الباطنيّة نفس ما يَصْنعه جميع الناس. ولديَّ كشعار لِنبالَتي الفاشلة، الامتيازُ المضحك ضدِّي. نعم أحيانا أَحْلُم على هذه الشاكلة. نعم، أصْبح الخياطة الذَّكَر، ولديَّ

أمراء هم أميرات وأحياناً كثيرة يصرْنَ شيئا آخر في التخيُّل الحتميّ.

وحينئذٍ أفيق من هذا كله، فأضحك تقريباً بصوت عال من رُؤيتي إيَّاي هكذا كما لو رأيتُني عاريا تحت عُرْيي، كما لو تَعرَّفْتُني كهيكلٍ عظميّ لروحي، فإذا بفرح حَادّ يرقص في هذياناتي؛ يا لها من كآبة !

مُخطَّط عيْش

لديّ مُخطَّط عام للعيش يجب أن يتضمَّن في المقام الأول : الحصولَ على نوع من الاستقرار المادي. سأضع الحدَّ الضروري لما أسميه الاستقرار المادّي هذا في حدود ستّين دولاراً. أربعون للمتطلبات الضروريّة للحياة وعشرون لغير الضروريّة. للحصول على هذا المبلغ عليّ بأن أضيف إلى الواحد وثلاثين دولاراً المحصّلة من المكتبين (ي، وف، فا) تسعة وعشرين دولاراً لم أحدِّد مَصْدرها بعد. لكن، إذا توخَّيْتُ الصرامة، فَخَمْسون دولاراً تكفي وحدها للعيش. على أن أضع ثلاثة وخمسين دولاراً كقاعدة ضرورية وخمسة عشر لتغطية ما تبقّى.

المسألة الجوهرية الثانية هي إيجاد إقامة تتوفَّر على فَضَاء كافٍ من حيث السَّعة، لأضع فيه جميع أوراقي وكُتُبي وفق الترتيب المناسب؛ وهذا بدون احتمالات إقامة لمدّة قصيرة. يبدو أن الأمر الأسهل سيكون كراء منزل بثمانية دولارات شهرياً أو تسعة دولارات كحدٍّ أقصى، لأعيش هُناك عيشة مُريحة مع إدراج العشاء (والإفطار) كلَّ يوم، أو ما شابه ذلك. لكن هل سيكون هذا كله كافيا ؟

عليَّ فيما يتعلَّق بأوراقي، أن أبْدِل صندوقي الكبير بصناديق صغيرة عديدة يتوجب شَحْنها وفق ترتيب يراعي أهميتها. أما الصندوق الكبير والصندوق الآخر الموجود في منزل «أ. س» فيجب أن تُحفظ فيهما الجرائد والمجلات التي أحتفظ بها وحدها.

وإذا ما اكتريتُ منزلاً أليْس من الأحسن أن أرجع إلى س لضبط هذه الأمور ولكي أحصل على ما أحتاج إليه وإن كان ذلك لازماً لهذه الغاية ؟

ليكن الأمر وفق ما يشاؤه القدر. وكذلك سيكون.

1919

هذا تصحيحي الشخصيُّ لحياتي فيما يتعلَّق بما يلي :

1 ـ تسديد جميع الدُّيون وتأسيس حياة نَظيفة على هذه القاعدة : خمسة آلاف دولار ستكون كافيةٌ لهذا كله !

2 ـ كراء منزل خارج لشبونة ثم أخذي جميع لَوازمي تاركاً لـ إميليا السهر على ما تبقَّى مَعَ ضماني سيرورة حياتها بما يمكنُّها من العيش بدون هموم ولا مخاوف.

5 ـ تنظيم أموري في لندن على نحو لا يلزمني بالعيش هناك.

د ـ قبل أن أغادر عليّ بترتيب وتنظيم جميع أوراقي بطريقة تجعل عملي الأدبي يتميز بالوضوح ويمضي نحو هدفه.

ه ـ يجب أنْ أنظم بِتَوازٍ مضبوط حياتي العملية وحياتي الفكرية حتى لا تَضرّ الأولى أبداً بالثانية المكرَّسة لواجبٍ أعْلَى.

لسْتُ شَكَّاكاً. ففي أعْمَاق خمودي ثمة من النشاط المفرط ما يمنعني من التخلِّي عن الاعتقاد بأنني وثنيٌّ من عصر الانحطاط مِمَّن يؤمنون بتأويل الآلهة الذي جعله السِّرُّ المكشوفُ ممكناً. أومن بالآلهة الوثنيين بكلِّ الاضطرام الصُّوفي لروح مسيحيّة. الآلهة الوثنيون هم قوّتي والروح المسيحية هي وسيلتي. الآلهة تَنَاغُم وسلام. المسيح يتفكّك. الآلهة الذين يَعُودون يتَّحدون. هو ذا أنا، في بَهْو وثنيّة تبدأ مِن جديد. حركاتي متوحّشة كحركات من يبحث في الليل. لكنَّني وجدتُ في الهواء الفارغ مِخلباً أقوى مِنْ ذراعيَّ الساقطتين؛ وصلتُ إلى معاينة الآلهة في الحد الساطع لفضاءٍ افتراضي. إنهم يوجدون خارج ذاتي كأفكار ذهنٍ أكثر شسوعاً؛ وهم يصاحبون تفكيري بالامتلاء الأعلى لمن يمنح الوجود.

إذا كانت علاماتُ وحدود عَملي لا تتوافق مع حَدِّ الحِقَب والأوطان، فعليَّ واجب احتمال عملي في هذا العالم حتى لا يكون مجرد جَرَّةٍ مائلة وصرخة بلا صدى في الفيافي. يملك قلبي اسماً يجب أن يمتدَّ فوق التعاقب المتنوع للاتجاهات، التميُّز اللَّامُدْرَك للكلام، التَّيارات الموحَّدة للأزمنة والتفاوت الشاسع للأوطان. كل ما تبقَّى هو بالنسبة إلى روحي انهيارٌ لتطلّعاتي وقلبي في دخيلته سيكونُ، إن أمكن له أن يكون، مثل سُلَّم بلا أدراج. نفيا للمُحال في ذاته.

إنْ لم أكن ذاتي في ملحمتي الخاصة أكُون قد عِشْت عبثاً إذن. إن لم يكن في كل بيت من أبياتي نبرة خلود، سأكون قَدْ بَدَّدْتُ زَمَن الآلهة بداخلي. لَوْ وُجد احتمال في العالم المنظور بعد سقوط مذنّب يَغدر بنا محوِّلاً إيَّانا إلى غبار، يَقْضي بتصحيح مسوَّدة حياتي رَهْن الإنجاز، فلن أصِير سوى فراغٍ هو فراغُ ذاتي نفسها، صَدَى بلا اسم للنجوم اللامبالية في معاينتها المَشْهَدَ.

إنَّ كبريائي من صِنْف أثْقل من تِلْك الهيآت التي نُسمِّيها أناساً.

لا أجدُ أيَّ صعوبة في وَصْف نفسي : أنَا طبع أنثويٌّ بذكاء ذكوري. حساسيّتي بما يَصْدُر عنها مِنْ حركات حساسيةٌ أنثوية. قدراتي العقلية : الذكاء والإرادة التي هي ذكاء الدافع قدراتُ رجل.

فيما يتعلَّق بالحساسيّة إن قلت بأنني كنتُ أرغب دائماً في أن أكون محبوباً لا أن أحبَّ البتَّة، فقد قُلْت كلَّ شيء. لقد آلمني دائماً، ولِصدقٍ روحي، واجبُ التَّبادل المبتذل. في السَّلبيَّة أجدُ راحتي. لا يجذبني في أيِّ نَشَاط سِوى الحدِّ الضروري الأدنى، الحدِّ التحفيزي حتَّى لا أكون سبباً في إخماد النشاط العشقي لمن أحَبَّني.

أعْتَرِفُ بلا مبالاتي بطبيعة ظاهرة الحبّ. إنها انقلاب جنسي فاشل محبوس في الروح. مع ذلك كُلَّما تأمَّلْتُ نَفْسي عراني القلق. ينقصني اليقين الذي مازلت اليوم أفتقر إليه بكون تلك القابلية الطبْعية لا يُمكن أن تنزل يوماً ما إلى الجسد. لا أقول بأنّني سأمارس حينئذٍ الجنس المتبادل، بل إنَّ الرغبة وحدها في ذلك تكفي لإشعاري بالخزي. كثيرون نحن الذين مَرَرْنا عبر التاريخ بهذه

الخصوصيّة وخصوصاً في التاريخ الفنّي : شكسبير وروسو، هما المثالان الأكثر تمثيلية الأكثر شهرة؛ وإنَّ خشيتي من وصول قابلية الروح هذه إلى الجسد تَكْمن في ملاحظة وُصولها إلى هذين المثالين، إلى الأول في شكل لِوَاطية تامة على نَحْو غامض، وإلى الثاني في شكل مازوخية شائعة.

مُذكّرة

لا أملكُ، لأمارس التأثير في المجتمع، سوى تلك المزايا السلبية الحيادية. إنني في المقام الأول رَجُلٌ استدلالي عقلاني، والأسوأ من ذلك استدلالي مُدقِّق وتحليليٌّ. غير أن الجمهور ليس قادراً على اتّباع أمثالي، ولا هو قادر على الاهتمام بالتحليل.

ثم إنني في المقام الثاني، تحليليٌّ يبحث، في حدود الممكن، عن اكتشاف الحقيقة، لكن الجمهور لا يُريد الحقيقة بل تعجبه الأكذوبة. الحقيقة في كل الأوجه ولا سيما في المسائل الاجتماعية معقّدة دائماً. والجمهور لَا يَفْهم الأفكار المعقّدة. يجب أن نمنحه فقط الأفكار البسيطة، العموميات الملتبسة، أيْ الأكاذيب وإن كانت على صلة بالحقائق؛ ذلك أنَّ تقديم ما هو معقَّد بصفته بسيطاً وعَرْضَ ما يحتاج إلى تمييز بدونما تمييز، واللجوءَ إلى التَّعميم حيث ينبغي التخصيص للوصول إلى التَّحديد وتفادي الدّقة في مسائل تستوجب الدقة كلَّ ذلك والكذب سواء.

وأنا في المقام الثالث، ولهذا أبحث عن الحقيقة، مُيَّالٌ إلى التجرُّد ما استطعتُ؛ لكن الجمهور الذي تحركه الأهواء وليس الأفكار متحيِّز عُضوياً وهذا لا ينفّره فحسب ويجعله لامباليا خارجَ طبيعته وبعيداً عن نبرة التجرُّد ذاتها، بلْ إنَّ هذا كلَّه، علاوةً، يتفاقم بسبب الالتزامات والتمييزات والتحديدات الواجب التقيُّد بها لنكون غير متحيِّزين. عندنا نحن في أروبا مثلاً وفي أغلبية شعوب جنوب أوربا إمَّا أن تكون كاثوليكيا أو ضد الكاثوليكية أو

غير معنيٍّ بالكاثوليكية كما بكل ما عَدَاها.

لو قمتُ على سبيل المثال بدراسة للكاثوليكية حيث عليَّ أن أقول حَتْماً أشياء إيجابية وسلبية وأشير إلى محاسن ومساوئ، وأظهر عُيوباً تقابلها فضائل ماذا سيحدث ؟ لن ينصت إليَّ الكاثوليك الذين لن يَقْبَلوا بأنْ أمسَّ الكاثوليكية بسوءٍ. ولَنْ يُصغي إليَّ مُناهضو الكاثوليكية. كذلك لن يَعْبأ بي اللامعنيّون ممن يعتبرون القضيَّة كُلَّها «رَسَالة» لا يمكن فك رموزها. بذلك تَصير تلك الدراسة عديمة الفائدة. وكلما كان مُسْتوى التدقيق والتحقيق أكبر فيها ازدادت درجةُ عدم فائدتها، لأنَّها ستصبح أقلَّ قابليَّة من لَدُن الجمهور بسبب ذلك المستوى العالي من التدقيق والحرص المعرفي. في أحسن الأحوال ستحظى تلك الدراسة بإعجاب فرد من هنا وآخر مِنْ هناك مِن نفس طينتي، رَجُل استدلال عقلاني بدون مُثُل ولَا تقاليد. مُحلِّل بدون أحكام مسبقة. ليبيرالي لأنه مُستبعد وليس لأنه عَبد للفكرة المبسَّطة لليبيرالية؛ إذن هذا الفرد، ماذا يمكن أن نُعلِّمه ؟ بعض المسائل الخاصة بالكاثوليكية على الأكثر في الحالة التي تناولناها كمثال، إنْ كان الموضوع بعيداً عن اهتمامه.

وإذا ما بدتْ له المسألة هو الباحث العقلاني مثلي غريبة عنه فذلك معناه، حينئذٍ، أنها لم تكن موضوع اهتمامه قط. وإذا كان الأمر كذلك فلماذا سيقرأ ما كتبتُه عن الموضوع ؟

مِنْ هذا كله نستنتج أن دراسة استدلالية متجرِّدة علمية في بنائها حول موضوع معين هي عَمَلٌ عديم الجدوى من الناحية الاجتماعية. بالفعل إنها، في أحسن الأحوال، عبارة عن عَمَل فنِّي لا أكثر.

المجتمعات يُسيِّرها مُهيِّجو المشاعر والأهواء، لا الأفكار. مَا مِن فيلسوف فَتَحَ له طريقاً بدون أن يَضع نفسه جزئياً أو كليا في خدمة دين أو سياسة أو أي نمط اجتماعي آخر من التفكير.

إذا كان البحث في الموضوع الاجتماعي إذنْ عديم الفائدة اجتماعياً باستثناء الجانب الفني، إن كان يتوافر على مقومات فنيّة، حينئذ سيكون من الأجدى لنا استخدام جهدنا في صناعة الفنّ وليس صناعة نِصْفِ فن.

بمعرفتنا أن جميع المعتقدات يمكن تبريرُها أو الدفاع عنها وأنّ قيمتها ليست في ذاتها وإنما في قيمة من يدافع عنها، علينا بأن نَقْصُر أنفسنا على أدب الدِّفاع أكثر مما على قضية الأدب ذاتها. لنصنع حكاياتٍ ذهنية نتَّبع فيها دَافعاً فوريّاً ومتهوِّراً، دراسات علميّة أيضاً. حقيقة الفكرة نفسها عليها أن تَكون زائدة؛ ليست بأكثر مِنْ مادة دَليلٍ جميل مشتقّ مِن حِيَل البصيرة النفّاذة.

سوف نتفرّغ، متخذين حركة متطابقة في اتجاه معاكس، لإظهار لامعنى الأفكار السائدة، خسَّةِ الأفكار الأكثر نبَالة، الوَهْمِ الملازم لجميع ما تقبله الإنسانية أو يمكن أن تقبل به وجميع ما يؤمن به الشعب أو يمكن أن يؤمن به. هكذا سَنُخلِّص المبدأ الأرستقراطي الذي أُسِّس فوق النظام الاجتماعي تاركاً وَرَاءَهُ فراغ عبودية كونية ورتيبة.

أَحَتَّاتِينَ سَنكُون وكيْف ؟ إن كنَّا لا نَمْلِكُ طريقة للتأثير في الجمهور، إن كان الذين يقرؤون معظمهم مِمَّن يقرأ الفنَّ للفنّ، الفَنَّ الفكري، الفنَّ المصنوع بأفكار بدلاً من إيقاعات – وأولائك ليسوا قليلي العَدَدِ كُلَّ القلة بين الحشود – هل خَابَ أملهم أم مازالوا أقوياء بفضل الذكاء والثقافة في مواجهة أيِّ خيبة؟

التدمير الاجتماعي، هو العقيدة الاجتماعية لكل ما ليس موجوداً بعد. المسيحية كانت مُدمرّة للمجتمعات، أضرَّتْ بنظام وتناغم البلدان التي كانت الوثنيّة فيها تمثِّل الحضارة. الإصلاح الديني كان مُضرّاً اجتماعياً لَمَّا كانت البلدان الأوروبية كاثوليكية. الثورة الفرنسية كانت مُدمِّرة وضد المجتمع لَمَّا كانت الحضارة الأوروبيّة مجسَّدة في النظام القديم. كُلُّ المذاهب الاجتماعية التي تنتفض ضد نفس الثورة اليوم هي حركات هدّامة. من يُبشِّر اليوم بالنظام النقابي وبالطغيان الاشتراكي فاشياً كان أم شُيوعيا، فإنه يُدمِّر الحضارة الأوربية؛ مِنْ يُدافع عن الديمقراطية والليبيرالية فهو مُدافعٌ عنهما.

أيَعْني هذا ألّا وُجود لعقائد مُدمِّرة إلّا بسبب وضعيتها الطارئة ؟ ذلك بالضبط ما يعنيه أكثر المذاهب راديكالية؛ ما إن تُصْبح هذه المذاهب مقبولة في المجتمع حتى تتحوَّل إلى عقيدة محافظة بل الأكثر محافظة. فإذا انتقلَتْ حينئذ إلى المعارضة أصبحت راديكالية.

هَلْ هذا معناه ألّا وجود لمبادئ أساسية في حياة المجتمعات ؟ لا، بل ذلك معناه، أن المبادئ إن كانت موجودة فنحن لا نعرفها. لا يوجد علم اجتماعي. لا نعرف كيف تنشأ تلك المبادئ، كيف تبقى وكيف تختفي، كيف تكبر أو تصغر، كيف تذبل المجتمعات وتموت؛ ذلك أنّ وجود الإنسانية إن كنّا نقصد بها أيّ شيء أبعد من النوع الحيواني المُسمّى إنساناً هي على درجة من الافتراضية وتعذُّر البرهنة العقلية بما يقرّبُها من مسألة وجود الله. مع ذلك إن كان المعنيُّ هنا النوعَ الحيواني المسمَّى انساناً، حينئذ فإن الجسد الإنساني موجودٌ بالنسبة إلى علماء البيولوجيا والأطباء وجميع من يدرس، على نحو من الأنحاء، هذا الجسد، موجود مثلما توجد الأسماك والطيور لا أكثر.

ما المبدأ الاجتماعي الذي يمكن اعتباره أساسيّاً. جميعها ولا واحد منها، بحسب براعة المجادل. ثمة فترات نظام مستقرة كلُّها ركود كما كان حال الحياة الميتة الطويلة لـ«بيزنطة» وهناك فترات الحيوية الثقافية، كما في عهد الملكية الفرنسية القديمة. ثمة فترات فوضى تميَّزت بانهيار فكري شامل في البلدان التي عرَفَتْها، كما حدث مع الانحطاط الذي عرفته الإمبراطورية الرومانية أو فترة الثورة الفرنسية بحصر المعنى. كما تميزت فترات من الفوضى بخصوبة إبداعية وفكرية كبيرة على نحو ما عرفته الجمهوريات الإيطالية، أو على عهد إيزابيل وكروميل في إنجلترا.

أشرتُ إلى الإنتاج الفكري معتبراً إياه مزيّة هامّة أو بالأقلّ جزءاً من الحضارة. لا ألح على هذا الأمر مع ذلك. وأنا مستعد لقبول العقيدة التي تقول إن الثقافة والفنَّ شرٌّ من الشرور، وأنَّ السلام هو ما يهم الإنسانية وليس السُّونيتات. لكن ما هي الظروف التي تنتج السلام وما التي لا تنتجه. سوف نجد نفس هذه الظروف حاملة لنتائج مختلفة؛ وذلك يعني أنها ليست أسباباً وإنما هي مصادفاتٌ، بما يجعل أيَّ شيء يُعدّ ميزة اجتماعية، سنفونيةً كان أو عَشاءً مؤمّنا، قادراً على الظهور في ظروف اجتماعية مختلفة، بدون أن نعرف أبداً من أين طلعتْ السنفونية لأنَّ العشاء كان مُؤَمَّناً.

إضافة إلى ما تقدَّم وكما أنَّه لا وجود لعلم اجتماعي كذلك لا وجود لفنٍّ

اجتماعي، تلك غاية أكيدة لوجود المجتمعات. وفي هذه النقطة بالذات يبدو أنَّ المشكلة التي كانت شبيهةً بمشكلة الميتافيزيقا تحوَّلتْ إلى ميتافيزيقا بكلِّ ما في الكلمة من معنى. بأيِّ قَصْديّة تُوجَدُ المجتمعات ؟ لأجل سعادة مَنْ ينشئونها؟ لا نعرف ذلك. والأكيد أنَّ السعادة تتغيَّر من صنف انساني إلى آخر وثمت كثيرون يمكن أن يُضَحُّوا ويتنازلوا بسرور عن زوْجاتهم مقابل أن يحتفظوا بمجموعتهم من الطوابع البريدية.

ديسمبر 1918

مخطّط بيبليوغرافي : فرناندو بّيسوا

ولد في لشبونة في 13 يونيو عام 1988، درس في معهد (هيغ سكول) في دوربان، «ناطال»، جنوب إفريقيا، وفي الجامعة (الإنجليزية) لمدينة الـ «كابو» (بوينا إسبيرانسا). في هذه الجامعة فاز بجائزة الملكة فيكتوريا في الكتابة بالإنجليزية، عام 1903 (في السنة الأولى التي أعلن فيها عن هذه الجائزة).

كتابات فرناندو بّيسوا تنتمي إلى صنفين : صِنْف باسم المؤلّف وصنف خارج المؤلف. لا يمكن أن نقول بأنهما مستقلان ذاتياً أو مستعاران. لأنهما ليسا كذلك. العمل ذو الاسم المستعار هو المؤلف بشخصه باستثناء الاسم الذي يوقّع به، الأعمال الأندادية هي أعمال المؤلف خارج شخصه ذات فردانية كاملة من اختراعه هو؛ مثل تأكيدات أيّما شخصية لأيّ مسرحية مِن تأليفه.

الأعمال الأندادية لفرناندو بّيسوا، مكتوبة بتوقيع ثلاثة أسماء : ألبرطو كايرو، ريكاردو رييس، ألبارو دي كامبوس. هذه الذوات يجب اعتبارها مختلفة عن ذات مؤلفها. كل واحدة منها تكوِّن نمطاً من عمل مسرحي. وهي مجتمعة تشكل عملاً مسرحيا آخر. ألبرطو كايرو المولود عام 1889 والمتوفي في 1915، كتب قصائد ذات توجُّه وحيد ومحدَّد. كان لديه تلميذان من أصله نفسه، يمثلان وجهين مختلفين لذلك التوجُّه وهما : الأول ريكاردو رييس المولود عام 1887 وقد تفرد، ضمن ذلك التوجه، بالجانب الذهني والوثني منتحياً به أسلوباً خاصّاً به؛ والثاني ألبارو دي كامبوس المولود في 1890 والذي ميّز وخصَّص ما

يمكن أن نَدْعوه الجانب الانفعالي وأسْمَاه «الحِسَّوي» وقد صهره ضمن مؤثرات متباينة. من بين أبرزها، ودائماً تحت مستوى كاييرو، تأثير والت ويتمان. كتب أعمالاً ذات صبغة فضائحية وتهييجية وخصوصاً بالنسبة إلى فرناندوبّيسوا الذي لم يَجِدْ أمامه في كل الأحوال من حلٍّ سوى أن يؤلفها وينشرها رغم عدم مُوافقته عليها. أعمال هؤلاء الشعراء الثلاثة، تشكل كما سبق القول، مجموعةً مسرحيّة؛ والتفاعل الفكري بين شخصياته جَرَت دراسته كما يجب تماماً مثل العلاقات الشخصية الخاصة لهذه الشخصيات. هذا كله سيظهر في سِيَرِهِمْ قَيْد الإنجاز، والتي ستكون مصاحبةً حينما ستنشر بخريطة فلكيّة وربَّما بصور فوتوغرافية. يتعلّق الأمر بمسرح شخوص، بدل مسرح أفعال.

(أما أنَّ هذه الذَّوات الثلاث أكثر أو أقلّ واقعية من فرناندوبّيسوا نفسه، فتلك مشكلة ميتافيزيقية هو الذي يجهل سرَّ الآلهة، وماهية الواقع، لن يستطيع أبداً حلَّها).

نشر فرناندو بّيسوا مِمَّا كتبه باسمه أرْبعة كراريس من الشعر في اللغة الإنجليزية : أنتينوس و35 سونيتة، صدرت مجتمعة في 1918، وكذلك في 1922، القصيدة الأولى من الكراس الثالث من هذه الكراريس إعادة كتابة لـ أنتينوس المنشورة في 1918 ثُمَّ نشر أيضا علاوةً على هذا منشوراً بعنوان : «حول بيان الطلبة» دعماً لـ رَاووُل ليال؛ في 1923 وكُرَّاساً بعنوان : «فترة انتقالية : دفاعاً وتبريراً للديكتاتورية العسكرية في البرتغال» سَمحَت الحكومة بنشره. ولا نَصَّ مِنْ هذه النصوص مكتمل ونهائي.

الكاتب إذَنْ يُفضل اعتبار هذه الأعمال من زاوية نَظَر استيتيقيّة كما لو كانت موجودةً على وجه التقريب، ما من كتابة أندادية نُشرت في كراريس أوْ كُتُب.

عُرف فرناندو بّيسوا بتعاوُنه كفايةً، بطلَبٍ من أصدقاء، مع مجلّات ومنشورات أخرى متنوِّعة الأجناس. كتاباته المبعثرة هنا وهناك هي على العموم أقل أهمية لدى الجمهور من الكراريس المُشَار إليها من قبل. مع ذلك عليَّ أن أشير، مع تحفّظات معنيّة إلى الاستثناءات الآتية :

1 ـ بخصوص الأعمال المنسوبة إلى المؤلف : مسرحية «البحَّار» في مجلة «أورفي» (1915)؛ «رجُلُ البنك الفوضوي» في «المجلة المعاصرة1»؛ قصائد «بَحْرٌ برتغالي» في «المجلة المعاصرة 4»، «مجموعة صغيرة من القصائد» في أنتينا 3 (1925)؛ وفي العدد الأول من جريدة «شمس لشبونة» (1926). الرواية المضبوطة والمؤثرة لـ «حكاية بيكاريو»

2 ـ بالنسبة إلى الأعمال الأندادية، أذكر نشيدين : «نشيد الظَّفر»و«نشيد بحري» لألبارو دي كامبوس في «أورفي 1و 2» (1915) و«إنذار نهائي» لنفس النِّدِّ في العدد الوحيد من مجلة «البرتغال المستقبلية» (1917)؛ «كتاب الأناشيد» لـريكاردو رييس في أنتينا 1 (1924) و«مقاطع» من قصائد ألبرطو كايرو في «أنتينا 4و5» (1925).

ما تبقَّى من الأعمال سواء كان منسوباً إلى المؤلف أو إلى الأنداد فهو إمّا لم يَحْظَ بأيّ اهتمام مطلقا أو مَرَّ مروراً عابراً أو أنه مازال يَخْضع للتجويد وإعادة التَّحديد، أو هو عبارة عن تأليفات صغيرة من شعر أو نثر يُعْسُر تذكرها وقَدْ يُضجرُ عَدُّها في حال تذكرها.

يمكنني من زاوية نظر دعائية، إن شئنا التذكير هنا ببعض المقالات المنشورة في AÀguia ، عام 1912 وخصوصاً للتهييج الذي أثارُه الإعلان فيها عن «الظهور الوشيك لـ كامويس الأعلى»، ولنفس الغاية يمكن أن أذكر مجموع المقالات التي ظهرت في «أورفي»، اعْتباراً للتَّشهير المفرط الذي نجم عن نشرها. إنهما الحالتان الوحيدتان اللَّتان أثارت فيهما كتابات فرناند وبّيسوا اهتمام الجمهور.

ليس لفرناندو بّيسوا نية نشر أيِّ كتاب أو كرَّاس على الأقل داخل مُدّة زمنية طويلة. ولعدم امتلاكه جمهوراً يقرأ أعماله يعتبر نفسه مُعْفَى من الإنفاق اللامجدي للمال الذي يفتقر إليه في عملية النشر، ومن ثم لكي يقنع أيّ ناشر بإنفاقه بلا فائدة، يحتاج إلى إعداد سيرورة خاصة أسماها باسمها : النوسطالجويُّ مانويل بيريس بيكاريو المذكور سابقاً.

لقد كنتُ دائماً في عمقي الروحي مع تقلبات معينة بسبب شكوك ذكائي

النقدي، رجلا وطنياً وليبيرالياً. وطنيٌّ أنا، نعم، أومن بالوطن بصفته روحاً وليس مُجرَّد وطن ؟ ليبرالي، نعم، مؤمن بالوجود مِنْ أصل إلهي، من الروح الإنساني وبعدم انتهاك وعي هذا الروح بذاته وتجلياته المختلفة.

لذلك دائماً أثارت لديَّ جميع أشكال الدُوَلانية* حالة من الاشمئزاز والتقزُّز. هذه الأشكال تتجسَّد في ثلاثة : «كنيسة روما، «الاقتصاد الدولي» والشيوعية.

وبالدقة نفسها أستطيع تعريف ما تقدَّم باستخدام مفردات مُعارضة: يتعلَّق الأمر بروح هشَّة مشوَّشة وعبثية عاجزة عن الرغبة؛ وبمعرفتها هذا تستنفدها آلاف الرغبات التي ليست مستحيلة وحسب بل ومتناقضة وهي تعرف، بسبب تكوينها ذاته، أنّ هذه الرغبات متناقضة ومستحيلة ألف مرّة حتَّى دَرَجة التجريد وتجد في نفسها دقائق لا تحصى من دقَّةٍ تغمرها بأخاييل التحليل نفسه المولود من قدرة التحليل، مفكِّرة بوضوح فيما تتفكره بعدم وضوح؛ وهي تمارس الإحساسَ بتأثير من المرئيِّ، لكن مُدوّنة إياه بإغواء السمعي؛ وقد فقدتْ تركيزها بسبب جراحها الكبيرة لكنها متوقّدة بِهِنَّ؛ بَلْهاء إزاء الإهانات الصغيرة الموجهة إلى طريقتها في الإحساس؛ بها خشية من كلّ شيء عدا الإحساس بكل شيء؛ سعيدة بشعاع شمس يسطع في جهة أخرى، سعيدة فقط لرؤيته. تعسة لمعرفتها كيف تَرى ما يُرى، عاطلةٌ عن ضجر، خَاملة عَنْ خطإ، تافهة عن تقبُّل.

1930 ـ 1929

لا أعرف ما أقول أنْتَسب إلى نَسْل البَّحارة ومؤسِّسي الإمبراطوريات. إذا تكَّلمْتُ بما أنا إياه لن أكون مفهوماً فلا أحد من البرتغاليين يَسْمَعُني. ليس بيني وبين مواطنيَّ كلام، ولا لُغة مشتركة، أصْمُت. أن أتكلم يعني ألا أكون مفهوماً. أفضّلُ عدم الفهم على الصمت.

* internationalización

1930

كُلَّما ازداد تعمُّقنا مع الحياة، في حساسيتنا الخاصة ازدادتْ، يا للمفارقة الساخرة ! درجة معرفتنا. في سنّ العشرين كنت مؤمنا بقدري المشؤوم واليوم أنا على معرفة بقدري المبتذل؛ في سن العشرين كنتُ معجباً وطامحاً إلى مبادئ الشرق؛ اليوم ترضيني بلا تفاصيل ولا أسئلة نهاية هادئة لحياتي، بصفتي صاحب دكّان تبغ.

الأسوأ في الحساسية هو تفكيرنا فيها، وليس بها. لمّا كنتُ على جَهْلٍ بسخافتي استطعتُ الاستمتاع بأحلام رائعة. الآن بمعرفتي من أكون أنا تَبْقى لديَّ الأحلام التي أقرِّر امتلاكها.

السُّخف هو الصدمة التي تُعيد الذكاء إلينا. ثمة جُزْءٌ مهم من الذكاء لا أعرفُ منه إلّا الذكاء.

إذا كنتُ أقوم بهذه التحليلات بطريقة لامبالية وعَرَضية فلأنني بها أصفُ ما أنا إياه بكيفية أحسن. أنا لستُ عاجزاً فحسب عن تحليل عميق. في الواقع أنا زيادة على ذلك فنّان زيادة على اللزوم حتى أفكِّر في القيام بهذا التحليل؛ تفكيري في القيام به سيكون تفكيراً في تقديم صورة عنّي باعتباري شخصاً مُنضبطاً ومتماسكاً بينما أنا في واقع الأمر مُحلِّل مُشتَّت ولَا مُتَمرْكِز مُرهف. فنّي هو كوْني أناي. وأنا عبارة عن كثيرين. لكن بالرغم من كوني كثيرين، فأنا مكوَّن من كثيرين في حال سيولة وعدم وضوح.

كثيرون يحْملون تصوُّرات مغلوطة أو ناقصة عنّي، وأنا إذ أتكلّم أقوم بكل ما في وسعي لكي يستمروا في اقتناعهم بتلك التصوُّرات. إزاء شخص معيَّن يعتبرني مثلاً مجرَّد ناقد أحْرص على ألّا أتحدَّث إلا في النقد. في البداية كنت أقوم بذلك عفوياً. بعدئذ قرَّرتُ عبر مجهودي المستمر لأجل ألا أُسبِّب خلافات، [-]

حرِّرْني كَما حرَّرْتني في البدء، من الطموح من الزهو والاعتداد. مُدَّ إليّ يدك كي لا أتعثر. امنحْني النور حتى لا أكون أعمى، الحياةَ حتى لا أكون ميّتاً.

إذا كنتُ لم أنشر أعمالي فليس بسبب عَدم رغبتي : لا أنشر لأنني لا أستطيع. لا ينبغي لأحد أن يفكر في أنَّ هذه الكلمات موجَّهة ضدَّ لجنة الرقابة؛ لا أحد يتوفّر على دواع أقلّ منِّي حتى يشكو تلك اللجنة. الرقابة تخضع رغم كلِّ شيء لتعليمات معيّنة ونحن نعلم جميعاً ما هي تلك التعليمات.

مع ذلك فقد تصادف أن القسم الأكبر مِمَّا أكتُبه لا يمكن أن تقبله الرقابة. قد لا أستطيع تحديد الدافع إلى كتابة ما أكتب؛ أنا أتحكم فيه بسهولة، لأنني لا أملكه لا أملك الدافع إلى النشر، ولن أزعج الرقباء بمادّة نشرها ممنوع حتماً.

ومادام الأمر هكذا، فلماذا النّشر مادُمت ممنوعاً من إمكانية نَشْر ما يمكن أن يهم الجمهور ؟ أيُّ فائدة سأجنيها أنا من إرسالي إلى أيّ جريدة، مهما كانت مقروءة، مِمَّا لا يفيد أولا [-]

أجل، يمكنني أن أهذي بحريّة (وحتى في هذه الحال فقط في حدود ومجالات معينة) عن فلسفة كانط [-]

1935

الأصلُ الحقيقيّ لهذا المقال مبعثه أنّ كثيراً من الأشخاص الذين أعرفهم - كثير بالنسبة إلى من يعرف القليل - لم يستوعبوا في كتابة «رسالة»، العمل الشعري الوطني أنْ ألجأ إلى «جريدة لشبونة» للدفاع عن «الماسونية»؛ من هذا الظرف الشخصي والمحدَّد استخرجت مادة هذا المقال اللاشخصي والمجرَّد. لا أحد يمكن أن يهمّه ما يقوم به وما يفكره شاعر غامض ومدافع (أقل غموضاً إلى حدّ ما) عن نظام «الماسونية»؛ لكن في مستوى معيَّن وبالنسبة إلى كثير من الأشخاص يجب أن يهمهم من يقوم بفرز ما هو مختلط وتقريب ما هو منفصل متباعد عن خطإٍ، وأن يقلّل ما أمكن من الضبابية التي تلفُّ الأفكار حتى ولو لم تكن الأفكار هي الوسيلة التي بها يجب أن ننتظر عودة «ضون سباستيان»*.

* نسبة إلى الملك سباستيان البرتغالي الذي قتل في معركة وادي المخازن بالقصر الكبير عام 1578 فتحوَّل بسبب اختفاء جثته إلى أسطورة شبيهة بأسطورة المهدي المنتظر وبيّسوا كان من المعتقدين بالسباستيانية وفق تصور خاصّ به.

ثمة شيء واحد فقط يُهمُّني : أنْ أصلَ بهذا المقال إلى المساهمة بحصتي بدرجة معيّنة في إزعاج الرجعيين البرتغاليين في واحدة من أسمى متعهم وأنسبها لهم : متعة التلفظ بالبلاهات. أثقُ مع ذلك بالصلابة الحجرية لرؤوسهم وبالفضائل الفطرية لإيمانهم الثابت والكُلّياني والذي يخصُّون به وفق قسمتين : سيدتنا فاطمة* وسيدنا ضون دوراتينونو دي بارغانسا*.

* Nuestra señora Fatima

* N. delT. D. Durate. Nuno de Barganza

وارثُ الحقوق الملكية بإجماع مؤيدي الملكية بعد تنازل اخيه عن العرش عام 1925.

إيضاحات حول كتاب : 1935

لقد نَشَرْتُ في شهر أكتوبر الماضي كتاباً، سيوزَّع لأجل البيع ابتداء من 1 ديسمبر، هو كتاب أشعار مكوَّن في الواقع من قصيدة واحدة عنوانها : «رسالة». هذا الكتاب نال جائزة «سكرتارية الدعاية الوطنية» في ظروف خاصة أعتبرها تشريفاً لي.

كثيرون مِمَّن قرؤوا الكتاب بإعجاب، وكذلك مِمَّن قَرؤُوه مثلهم بقليل أو عدم إعجاب، حَيَّرتهم فيه أمور مُعينة : بنية الكتاب، الترتيب الذي أعطي لبعض المواد والعناصر فيه، ولا سيما ما يُوجَد فيه من عناصر صوفيةٍ وطنية ـ حيث يبدو هناك مُتّحدا بعقائد «كنيسة روما» ـ مع نزعة تديُّنيّة هي، من زاوية النظر هذه، هَرْطقة جليّة.

ثمة ظاهرة مستقلة عن «رسالة» ولاحقة لما بعد نشرها، ضاعفتْ مِنْ حيرة قراء الكتاب. هذه الظاهرة مَثَّلها مقالي عن المجتمعات السريّة الذي ظهر في «جريدة لشبونة» يوم 4 فبراير. المقال كان هجوماً على مشروع قانون – صار اليوم قانوناً – حَوْل مسألة العنوان ذاته، وامتدَّ ليصبح دفاعا عن الماسونيّة التي ضدها وضع مشروع القانون وضدها أيضاً أصبح المشروع قانوناً ساري المفعول.

المقال كتبه علناً رجلٌ ليبرالي وَعَدُوٌّ جذريٌّ لـ«كنيسة روما» تشدُّه إلى الماسونية والماسونيين عاطفة أخوية عميقة.

إن قارئاً يقظاً للكتاب لن يتغاضى، أيّا كانت الفكرة التي كوَّنها عن

قيمته، عن معاداته للكنيسة الرومانية التي تتجلّى فيه بكيفية ثابتة وسلبية دائماً. كذلك القارئ اليقظ لكن المدرَّب على فهم الأمور الهرمسيّة حدسيا بالأقل لن يستغرب الدفاعَ عن الماسونية مِن قِبل مُؤلِّف كتاب متشبِّع بالرمزيّة الهيكلية وبـ«وردة الصليب».

هذا القارئ سيجد سهولة في الوصول، مع أخذ التعاليم الهيكلية في الحسبان حتى بدون أن تكون مصحوبة بأيِّ نشاط سياسي، إلى تصوُّرات اجتماعية متطابقة فيما هو سلبيٌّ وما هو إيجابي، مع الماسونية؛ علماً بأن «وردة الصليب» في مضمونها الاجتماعي تدور في فلك أفكار الأخوة والسلام. «سلام عميق»، «أخوة» هي التحية وهي الشعار لدى «وردة الصليب»، سواءٌ لدى الملحدين أو لدى الإخوة. إنَّ مؤلِّف كتابٍ متصوَّر وفقَ هذا التصور عليه أن يكون حتماً ليبيرالياً بالانتماء، إن لم يكن بالطبيعة.

غير أنَّه، بالفعل كان دائماً مُخْلصاً بالطبيعة ومُجبراً بالتربية ـ تكويني إنجليزي بالتمام ـ على التشَبُّع بالمبادئ الجوهرية الليبرالية التي هي احترام حريّة الإنسان وحريّة الروح أو بمفردات أخرى : الفردانية والتسامح أو حتى بعبارة واحدة الفردانية الأخويّة.

03 / 30
مذكرة سيرية
الاسم الكامل : فرناندو أنطونيو نوغيرا بّيسوا

السن ومسقط الرأس : ولد في لشبونة (فريغنيسيا دوس مارتريس، الرقم 4 من طريق. س. كارلوس (هي المديرية اليوم) في 13 يونيو 1888.

النّسب : الابن الشرعي لجواكيم دي سيبرا بّيسوا ومَاريا مادلينا بينهيرو نوغيرا. حفيد من جهة الأب للجنرال جواكيم أنطونيو بّيسوا الذي حارب ضمن الحملات الليبيرالية، ولـ ضونيا دِيُونيسيا سبرا؛ حفيد، من جهة الأم، للمستشار لويس أنطونيو نوغيرا، فقيه قانوني كان مديراً عاماً لوزارة المملكة، وحفيد لـ ضونيا مادالينا كسبيير بينهيرو. يتحدر من سلالة أشراف ويهود.

الوَضْع : أعزَب

المهنة : التسمية الأنسب ستكون «مترجم» والأدق «مراسل خَارجي لمكاتب تجارية» كوني شاعراً وكاتباً هو ميل وليس مهنة.

الإقامة : شارع كُويلهو دَا رُوشَا 16، 10 لشبونة (العنوان البريدي ص. ب 147، لشبونة)

الوظائف الاجتماعية التي اضطلع بها؛ إذا كان المقصود بها المناصب السياسية أو الاختصاصات البارزة فلا شيء.

أعمال منشورة : أعماله حتى هذه الساعة متفرقة في مجلّات ومنشورات

عرضية. ما أعدُّه ذا قيمة من بين كتبي وكراريسي هو ما يلي : 35 سونيتة (في الإنجليزية)، 1918؛ «قصائد إنجليزية» I وII و«قصائد إنجليزية» III في الإنجليزية أيضاً)، 1922 وكتاب «رسالة» 1934. الحاصل على «جائزة من سكرتارية الدعاية الوطنية»، في صنف «قصائد». كُرَّاس «فترة انتقالية» المنشور عام 1928 الذي يمثِّل دفاعاً عن الدكتاتورية العسكرية في البرتغال يتوجَّب اعتباره غير موجود. لابد من مراجعة هذا كله. ورُبَّما التخلي عن جزء معتبر منه.

التربية : بزواج أمِّه الثاني (بعد وفاة أبيه في 1893) بالكومندان جواو ميغيل روصا، قنصل البرتغال في «دروبان»، تلقى تعليمه في تلك المدينة. نال جائزة الأسلوب في اللغة الإنجليزية في جامعة «الكابو» في «بوينا إيسبيرانسسا» عام 1903، في امتحان القبول في سن الخامسة عشرة.

الإيديولوجيا السياسية : يعتبر أن النظام الملكي هو الأنسب بالنسبة إلى وطن إمبراطوري كالبرتغال ويعتبر في نفس الآن أن الملكية لا مُسْتقبل لها بصفة مطلقة في البرتغال لذلك إن جرَى استفتاءٌ لاختيار النظام سيصوت بحسرة لصالح الجمهورية. محافظ على النمط الإنجليزي. ليبرالي في نطاق المحافظة، ضد الرجعية بصفة مطلقة.

الوضع الديني : مسيحيٌّ غنوصي، ولذلك فهو معارض تماماً لجميع الكنائس المنظمة وخصوصاً كنيسة روما. مُخْلص لأسباب ستُشْرح لاحقاً للتقليد السرّي للمسيحية الذي له علائق حميمة بالقبالة اليهودية المقدسة وبالماسونية.

الوضع : ترقّى بواسطة اتصال مباشر بالمعلم إلى مُريد بعد اجتيازه للمراتب الثلاث الدنيا للنظام الهيكلي للبرتغال.

الوضعية الوطنية : نصير لوطنية صوفية مُخَلَّصة من تأثير الكاثوليكية - الرومانية مع انبعاث سباستيانية جديدة إن أمكن، تعوِّضها رُوحِيّاً، إن وُجدت روحانيةٌ ما في الكاثوليكية البرتغالية. وطنيٌّ وفيٌّ للشعار الآتي :

«الكل لأجل الإنسانية، لا شيء ضِدَّ الوطن»

الوضع الاجتماعي : ضد الشيوعية وضد الاشتراكية وكل ما تبقّى يجب حذفه مِمَّا قيل من قبل.

مُلخَّص للاعتبارات الثلاثة الأخيرة :

الإخلاص دائماً لذكرى الشهيد جاك دي مُلَايْ*، مُعلِّم «الدّاويين» مع الجهاد الدائم وفي كل مكان، لِقَتلَتِه الثلاثة : الجهل، التعصُّب، الطغيان.

* Jaques de Molay

صدر للمترجم في دار توبقال

في الشعر

في الثلث الخالي من البياض، 2002.

بين الحبر ويبني، 2006.

لا أحد اليوم ولا سبت، 2012.

محض قناع، ط.2، 2014.

ربيع الفتيات، 2015.

تمتع بالمحو، 2015.

في النثر

حديث ومغزل، 2000.

عبد الواحد منتصر : المهندس الانسان، 2011.

بالنوم أو بدونه، 2012.

من أكون ؟، 2014.

في الترجمة

دوائر الجحيم (شعر)، خوستو، خورخي بادرون، 2001.

مولاي أحمد الريسوني : سبعة أعمار لميتة واحدة، 2016.

مطبعة النجاح الجديدة – (CTP) – الدار البيضاء

دائماً سعيتُ إلى أنْ أكون متفرِّجاً على الحياة بدون أنْ أتورّط فيها. على هذا النحو أعاينُ هذا الذي يحدث كغريب باستثناء ما أستخلصُه من الوقائع المبتذلة المحيطة بي مِنْ شهوانية مريرة.

لا أحتفظ بأي حِقْد لِمَن سبّب هذا. لا أحقاد لَديّ ولا كراهيات. هذه المشاعر تخصّ من يملكون آراء أو مهنةً أو هدفاً في الحياة. وَأنا لا أملك من هذا شيئاً. ما أملكه في هذه الحياة هو اهتمامُ محلّلٍ لأنماط الجنون. أتوقّف. أفك رموزها ثم أواصل إلى الأمام. لا أقحم في ذلك أيّ عاطفة. لكن لا مبادئ لديّ. اليوم أدافع عن فكرة. وغداً عن نقيضها. ولا أؤمن بما أدافع عنه اليوم، ولن يكون لديّ إيمانٌ بما أقوله الآن. اللعب بالأفكار والمشاعر بدَا لي دائماً هو الأسمى في جماليته، أحاول أن ألعب بهنّ قَدْر ما أستطيع.

الثمن 40 درهما

9 789954 694008